مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 28، العدد (2)، ص ص 103 - 143، الرياض (2016م/ 1437هـ)

محمد بن الحنفية بين أهل السنة والمنتسبين إليه «دراسة عقدية»

خالد بن ناصر العتيبي*

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(قدم للنشر في 19/ 11/ 1436هـ؛ وقبل للنشر في 21/ 12/ 1436هـ)

المستخلص: تعنى هذه الدراسة ببيان موقف الفرق الإسلامية من التابعي محمد بن الحنفية، وتهدف إلى بيان مكانته الكبيرة عند السلف، وأهمية الأقوال العقدية المنسوبة إليه، وبيان الفرق الغالية فيه ومقالاتها، والتي من أشهرها وصفه بأنه المهدي الذي أخبر النبي ﷺ بخروجه في آخر الزمان. ومنهج البحث: المنهج الاستقرائي والاستنباطي، ومن أهم نتائجه: موافقة ابن الحنفية لعقيدة السلف، وبراءته من عقائد الشيعة، وحرصه على تصحيح الغلو الذي وقعت فيه شيعة آل البيت، وبراءته من ادعاء المهدية التي نسبتها إليه شيعته كذبا وزوراً، وأن هذه العقيدة كانت من أخطر مقولاتهم وأوسعها انتشاراً وتأثيراً في بقية الفرق بعدها. ومن أهم التوصيات: دعوة الجامعات ودور النشر والإعلام إلى نشر السيرة الصحيحة لآل البيت الخالية من الغلو، والإسهام في تصحيح مقالات الفرق الإسلامية، وبيان العقيدة الصحيحة في المهدي الموعود به في الأحاديث الشريفة.

الكلمات المفتاحية: محمد بن الحنفية، الكيسانية، الشيعة، المهدي.

Mohamed Ibn-Alhanafiyyah between Ahl-Assunnah and Those Who Associate Themselves with Him: A Study of Beliefs

Khaled Nasser Al-Otaiby*

Imam Mohammad Ibn-Saud Islamic University

(Received 03/09/2015; accepted for publication 04/10/2015.)

Abstract: This study is concerned with the position of Islamic schools regarding Mohammad Ibn-Alhanafiyyah, who is classified as a *tabi'iy*. It seeks to show the high esteem the Salafists give him, to show the importance of his views on belief, to show his followers' extreme veneration of him as expressed in their writings. The study follows an inductive-deductive approach. Among its important findings are: Ibn-Alhanafiyya's views are consistent with the Salaf's beliefs; his views are free from Shiism; he was concerned with the extremism of the lovers of Prophet Mohammad's family; he is absolved of his associates' false claim to being the prophesied Mahdi – this was the most dangerous claim that they made and that influenced later sects. The study makes the following recommendations: the universities, the publishers and the media should seek to promote the true information about the Prophet's family, avoiding extreme veneration; they should help correct the statements of Muslim sects; and they should promote the truth about the Mahdi, as prophesied in the Hadith.

Keywords: Mohammad Ibn-Alhanafiyyah – Al-Keessaaniyyah – Shiism / Shiite – Al-Mahdy – Hadith prophecies.

(*) أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الإحساء، المملكة العربية السعودية، ص.ب (1730) الرمز (31982)

(*)Associate Professor, Department of Theology, College of Sharia and Islamic Studies,Imam Mohammad Ibn-Saud Islamic University.
Ahsa, KSA, p.o box:(1730), Postal Code: (31982)

البريد الإلكتروني: dr.k.alotaibi@hotmail.com e-mail:

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن البحث في أعلام القرن الأول الذين كانت لهم مكانة كبيرة عند أهل السنة والجماعة، يعد من البحوث العظيمة التي يجب صرف الهمم لها، ومن هؤلاء الأئمة الكبار محمد بن علي بن أبي طالب، المشهور بابن الحنفية، فقد كانت له مكانة كبيرة عند الصحابة والتابعين، وتعلقت بمحبته قلوب المسلمين، وانصرفت إليه كثير من الشيعة بعد موت أخويه.

مشكلة البحث: الإمام محمد بن الحنفية الذي اختلفت فيه الفرق.

تكمن مشكلة البحث في أن محمد بن الحنفية انتسبت له فرقة الكيسانية، وتعصبت له، وتزعم ذلك المختار بن عبيد، فادعوا أنه إمام المسلمين، وأنه وصي أبيه، وأنه المهدي التي وعدت به النصوص، وغلوا فيه بمقالات ضالة. وكل ذلك كذب عليه، وهو منه بريء، بل هو من علماء السلف الصالح، وقد استعنت بالله -تعالى- في بيان موقف الفرق المنتسبة إليه، وموقف أهل السنة منه.

حدود البحث:

محمد بن الحنفية، وبيان مكانته عند أهل السنة والمنتسبين إليه، وبيان بطلان الغلو فيه، وأنه ليس المهدي الموعود به في آخر الزمان.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1- المكانة الكبيرة لمحمد بن الحنفية عند السلف الصالح.

2- عدم وجود دراسة سابقة في هذا الموضوع فيما أعلم.

3- أهمية الأقوال العقدية المنسوبة لابن الحنفية.

4- خطورة الخطأ في ادعاء أنه المهدي بدون استناد إلى علاماته الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ.

أهداف البحث:

يرمي البحث إلى تحقيق ما يلي:

1- بيان أقوال وأفعال ابن الحنفية التي تبين جلالة قدره عند أهل السنة.

2- بيان الفرق الغالية في ابن الحنفية، وبيان بطلان مقولاتهم العقدية المتعلقة به.

3- بيان مذهب أهل السنة في المهدي، وبيان بطلان من ادعى أنه هو المهدي.

منهج البحث:

سلكت المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

إجراءات البحث:

عزوت الآيات، وخرجت الأحاديث مكتفيا بالصحيحين، فإن لم يخرجاه فإنني أجتهد في تخريجه من المصادر المعتمدة، وأعتني بتعريف الفرق، وتوثيق الأقوال، وذكر وفاة الأعلام، واعتنيت بالرجوع إلى

المصادر القديمة والمتخصصة في ذكر سيرة ابن الحنفية، ومقولات المنتسبين إليه، والتحقق منها بالرجوع لأكثر من مصدر.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المراجع.

- **المقدمة:** واشتملت على مشكلة البحث، وحدوده، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث.
- **التمهيد:** ترجمة محمد بن الحنفية.
- **المبحث الأول: محمد ابن الحنفية عند أهل السنة والجماعة.**
  - المطلب الأول: منزلة ابن الحنفية عند أهل السنة.
  - المطلب الثاني: عقيدة ابن الحنفية السلفية.
- **المبحث الثاني: تاريخ الغلو في محمد ابن الحنفية، وموقفه من الغلاة.**
  - المطلب الأول: تاريخ الغلو في محمد ابن الحنفية.
  - المطلب الثاني: الفرق الغالية في محمد ابن الحنفية، ومآلهم.
  - المطلب الثالث: تحذير محمد ابن الحنفية من غلاة الشيعة وعقائدهم.
- **المبحث الثالث: دعوى أن محمد ابن الحنفية هو المهدي الموعود به في آخر الزمان.**
  - المطلب الأول: رأي شيعة محمد ابن الحنفية في أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان.
  - المطلب الثاني: الرد على دعوى شيعة محمد ابن الحنفية في أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان.
- **الخاتمة،** وفهارس المراجع والموضوعات.

هذا، وأسأل الله – تعالى– أن ينفع بهذا البحث، وأن يكون خالصاً لوجه، إنه كريم جواد.

***

التمهيد

ترجمة محمد ابن الحنفية

1– اسمه ونسبه: هو محمد بن علي بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ويقال له: ابن الحنفية، ويقال: محمد ابن الحنفية، ويقال: محمد بن علي، ويقال: محمد بن علي ابن الحنفية، فيُنسب إلى أبيه وأمه جميعاً[1]. وهو معروف ومشتهر بنسبته للحنفية، وهي نسبة لأمه، وهي: خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة[2]، وكان أبوه علي ﷺ يناديه بذلك، فيقول له: يابن الحنفية[3]، وقد اختلف العلماء في

(1) انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (1/ 89).

(2) انظر: أنساب الأشراف، للبلاذري (2/ 200)، وتاريخ الطبري (3/ 162).

(3) روى البيهقي في السنن الكبرى (8/ 180) أن علياً ﷺ نادى ولده يوم الجمل: (فقال: يا ابن الحنفية، ما يقولون...).

أمه خولة الحنفية، فقيل- وهو قول الأكثر-: كانت من سبي بني حنيفة في زمن أبي بكر ﷺ، وكانت من أنفسهم[4].

2- **كنيته**: التي اشتهر بها هي: أبو القاسم، ويكنى- أيضاً- بأبي عبد الله، وقد كان محمد ابن الحنفية أول من جمع من سلالة علي ﷺ بين اسم محمد والتكني بأبي القاسم، وقد كناه بذلك أبوه علي ﷺ بإذن ورخصة من النبي ﷺ، فعن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: (يا رسول الله، أرأيت، إن ولد لي بعدك، أسميه محمدا، وأكنيه بكنيتك؟ قال: نعم، قال: فكانت رخصة لي هذا)[5].

3- **مولده**: اختلفت الروايات في تحديد سنة ولادته على عدة أقوال؛ فقيل: إنه ولد في خلافة أبي بكر ﷺ[6]، وقيل: في خلافة عمر ﷺ[7].

4- **نشأته وأسرته**: نشأ ابن الحنفية في المدينة في كنف والده، وصاحب أخويه: الحسن والحسين، وكان أبوه يثق فيه، ويكلفه بأمور جليلة، ويوصي به أخويه، وتجلى ذلك في مواقف كثيرة منها:

1- ثقة علي ﷺ به في الحروب، ودفع الراية له يوم الجمل[8] ويوم صفين[9].

2- سرحه أبوه مع أخوته لمصاحبة عائشة ﷺ إلى مكة بعد معركة الجمل[10].

3- قوله عند موته: (أوصيكما به؛ فإنه شقيقكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه)[11].

5- **أولاده**: ولد لمحمد ابن الحنفية: عبد الله، والحسن، وجعفر الأكبر، وحمزة، وعلي، وجعفر الأصغر، وعون، والقاسم، وعبد الرحمن، وإبراهيم، ومحمد الأكبر، ومحمد الأصغر[12].

6- **وفاته**: مات ابن الحنفية عام (81هـ) بالمدينة، وله خمس وستون سنة[13]، وقيل: مات بجبل رضوى[14]،

(4) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 93).

(5) أخرجه أحمد (2/ 135)، وأبو داود (4/ 448)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (314).

(6) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 323، 326)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (5/ 57).

(7) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 326)، والثقات، لابن حبان (5/ 348)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 994).

(8) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 94).

(9) تاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 333)، وانظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 95)، وتاريخ الطبري (3/ 5).

(10) تاريخ الطبري (3/ 61).

(11) قاله للحسن والحسين: تاريخ الطبري (3/ 158)، والمعجم الكبير، للطبراني (1/ 101).

(12) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 94)، وأنساب الأشراف، للبلاذري (3/ 270)، وإكمال تهذيب الكمال، لمغلطاي (10/ 285).

(13) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 116، 7/ 150) وعنه تاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 358).

(14) جبل رضوى: بقرب مدينة ينبع، وهو جبل ذو شعاب وأودية=

وحمل ودفن بالبقيع[15]، وقيل: مات بإيلية[16] وضُعف.

***

المبحث الأول

محمد ابن الحنفية عند أهل السنة والجماعة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منزلة ابن الحنفية عند أهل السنة:

لابن الحنفية مكانة كبيرة عند الصحابة والتابعين، ومن تبعهم، فهو «السيد، الإمام»[17]، وكان من أئمة السلف في السنة والدعوة والهداية إلى طريق الاستقامة[18]، وكان له باع كبير في الفقه[19]، «وكان من أفاضل أهل بيته»[20]، ووصف بكثرة العلم والورع، قال عبد الأعلى بن عامر (ت129هـ) عنه: «وكان كثير العلم ورعاً»[21]، وقال العجلي (ت261هـ): «وكان رجلا صالحاً، تابعياً، ثقة، مدنياً، وسأل رجل ابن عمر عن مسألة، فقال: سل محمد ابن الحنفية، ما تقول؟ فسأله عنها، ثم أخبره، فقال ابن عمر: أهل بيت مفهمون»[22]، وقال الطبري (ت310هـ) عنه: «وكان فاضلاً، ديناً، ذا علم جم، وورع»[23]، وقال أبو نعيم (ت430هـ) عنه: «الإمام اللبيب ذو اللسان الخطيب، الشهاب الثاقب، والنصاب العاقب، صاحب الإشارات الخفية، والعبارات الجلية»[24]، وقال الشهرستاني (ت548هـ): «كان كثير العلم غزير المعرفة، وقاد الفكر، مصيب الخاطر في العواقب، قد امتلأت القلوب بمحبته، وحسن اعتقاد الناس فيه»[25]، وقال ابن كثير (ت774هـ): «وكان محمد بن علي من سادات قريش، ومن الشجعان المشهورين، ومن الأقوياء المذكورين»[26]، وقال ابن حجر (ت852هـ): «ثقة عالم»[27]، وفي بيان مكانة ابن الحنفية

=وأشجار وثمار.انظر: المسالك والممالك، لابن خرداذبة (21).

(15) قاله ابن حبان في الثقات (5/ 347).

(16) نقل الفاكهي في أخبار مكة (2/ 362) عن الواقدي أنه مات بأيلية، ثم ضعفه الواقدي، فقال: «والثابت عندنا أن محمد بن علي مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة إحدى وثمانين»، وضعفه البلاذري في أنساب الأشراف، للبلاذري (3/ 294-295).

(17) سير أعلام النبلاء، للذهبي (5/ 55).

(18) وصفه بذلك اللالكائي في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (1/ 36)

(19) طبقات الفقهاء، للشيرازي (62)، وانظر: مصنف ابن أبي شيبة (2/ 28)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 114-116).

(20) الثقات، لابن حبان (5/ 347)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (9/ 355).

(21) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 94)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 332-333)، والسير، للذهبي (4/ 115).

(22) معرفة الثقات، للعجلي (410)، وانظر تفصيل المسألة في مصنف ابن أبي شيبة (2/ 28).

(23) تاريخ الطبري (11/ 628).

(24) حلية الأولياء، لأبي نعيم (3/ 174).

(25) الملل والنحل، للشهرستاني (1/ 149).

(26) البداية والنهاية، لابن كثير (12/ 313).

(27) تقريب التهذيب، لابن حجر (497).

عند أهل السنة شواهد كثيرة نذكر بعضها:

1- عنايته بسنة النبي ﷺ، وإتقانه لحديث علي رضي الله عنه أكثر من غيره:

اتفق أئمة النقل على توثيقه والرواية عنه، فقد أخرج له الجماعة في كتبهم[28]. روى عن: أبيه، وعثمان، وعمار بن ياسر، وأبي هريرة، وغيرهم، وقد دخل على عمر رضي الله عنه وهو غلام، وروى عنه مرسلا، وروى عنه جماعة. وعامة حديثه عند أولاده: إبراهيم، وعون، وعبدالله، والحسن. وروى عنه عمرو بن دينار (ت126هـ)، وعبد الله بن محمد بن عقيل، ومنذر بن يعلى الثوري، وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي[29].

وكان حريصاً على حضور مجالس الصحابة، وتعلم سنة رسول الله ﷺ، قال عبد الله بن محمد بن عقيل: «كنت انطلق أنا ومحمد ابن علي أبو جعفر (ت114هـ) ومحمد بن الحنفية إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، فنسأله عن سنن رسول الله ﷺ، وعن صلاته، فنكتب عنه، ونتعلم منه»[30]، وكان أعلم الناس بحديث أبيه، قال إبراهيم بن الجنيد(ت270هـ): «لا نعلم أحداً أسند عن علي أكثر، ولا أصح مما أسند ابن الحنفية»[31]، ولذلك قال ابن الحنفية: «الحسن والحسين خير مني، وأنا أعلم بحديث أبي منهما»[32].

2- حكمته ورجاحة عقله:

كما ثبتت مكانة ابن الحنفية في عصره في الفقه والسنة كذلك ثبتت مكانته في الحكمة، ورجاحة العقل حتى سارت الأخبار بين التابعين بذكر أقواله المأثورة، فمن ذلك قوله: «ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا، حتى يجعل الله له فرجا أو مخرجا»[33]، وقال ابن الحنفية: «أيها الناس، اعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم الله عز وجل إليكم، فلا تملوها، فتحول نقما، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخرا، وأورث ذكرا، وأوجب أجرا، ولو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين، ويفوق العالمين»[34]، وقال- أيضاً-: «الكمال في ثلاثة: الفقه في الدين، والصبر على النوائب، وحسن تقدير المعيشة»[35].

(28) انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (9/ 354).

(29) انظر: الثقات، لابن حبان (5/ 347)، تاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 994)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (9/ 354).

(30) تاريخ دمشق، لابن عساكر (32/ 259)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (7/ 333).

(31) تاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 331)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (5/ 58)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (9/ 354).

(32) تاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 331).

(33) الأدب المفرد، للبخاري (306) وصححه الألباني في تحقيقه، ومصنف ابن أبي شيبة (14/ 57).

(34) شعب الإيمان، للبيهقي (6/ 126)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 337).

(35) تاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 337)، والمجالسة وجواهر العلم، للدينوري (5/ 151).

3- مبايعته لولاة الأمر الذين اتفق الناس عليهم، وعدم الخروج عليهم:

بايع ابن الحنفية ولاة الأمر في وقته، ووفد إليهم، ولم يسع إلى الخروج عليهم لا بلفظ ولا بفعل، فقد وفد على معاوية ﷺ، وروى عنه حديثاً عن النبي ﷺ[36]، وكان معاوية يجله ويقدره[37]، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه ليخرج على معاوية، فيرفض ذلك[38]، وكذلك فعل مع يزيد بن معاوية (ت64هـ)[39]، وعبد الملك بن مروان[40]، فقد بايعهما، وأطاعهما مدة خلافتهما، ولم يخرج عليهما، وقد قدَّر له عبد الملك هذه الطاعة، فوبخ الحجاج بن يوسف(ت95هـ) بسببه، وتهدده بأن لا يؤذي ابن الحنفية، بل إن الحجاج نفسه أثنى على ابن الحنفية لما أخبر بمسألة تكلم فيها ابن الحنفية، قال شهر بن حوشب(ت100هـ): «فنظر إليّ الحجاج، وقال: من حدثك بهذا الحديث؟ فقلت: محمد ابن الحنفية، قال: وكان متكئا فجلس، ثم نكث بقضيبه في الأرض ساعة، ثم رفع رأسه إليّ، وقال: أخذتها من عين صافية، أخذتها من معدنها»[41].

4- نهيه للحسين ﷺ أن يخرج على يزيد بن معاوية:

لما أراد الحسين الخروج على يزيد، والذهاب إلى الكوفة، أدرك ابن الحنفية أخاه الحسين بمكة، «وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل، فحبس محمد بن علي ولده، فلم يبعث معه أحدا منهم، حتى وجد الحسين في نفسه على محمد، وقال: ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه، فقال محمد: وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم»[42].

5- امتناعه من مبايعة ابن الزبير وعبد الملك بن مروان حتى تتفق الأمة على أحدهما:

امتنع ابن الحنفية من مبايعة ابن الزبير وعبدالملك[43] بالخلافة؛ لعدم اتفاق الناس على أحدهما[44]، واعتبر

(36) روى عنه حديث: «العمرى جائزة لأهلها» أخرجه أحمد (28/ 96).

(37) انظر ثناءه عليه في: أنساب الأشراف، للبلاذري (3/ 276)، وإكمال تهذيب الكمال، لمغلطاي (10/ 285).

(38) الطبقات الكبرى، لابن سعد (6/ 422)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (14/ 205).

(39) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 734)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (5/ 7).

(40) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 112)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 320، 351).

(41) تفسير القرآن، للصنعاني (1/ 178)، وتفسير الثعلبي (3/ 412)، وتفسير القرطبي (6/ 11).

(42) الطبقات الكبرى، لابن سعد (6/ 429)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (14/ 212).

(43) اختلف العلماء في أيهما كان الخليفة على قولين، انظرهما في: شرح مسلم، للنووي (16/ 99).

(44) وهو -أيضاً- مذهب ابن عمر وابن عباس.انظر: السنن الكبرى، للبيهقي (8/ 192)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (6/ 340).

أيامهما أيام فتنة[45]، فقال عن ابن الزبير: «دعاني إلى البيعة، فقلت: إنما أنا من المسلمين، فإذا اجتمعوا عليك، فأنا كأحدهم. فلم يرض بهذا»[46]، ولما قتل ابن الزبير «كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك: بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، من محمد بن علي.

أما بعد، فإني لما رأيت الأمة قد اختلفت اعتزلتهم، فلما أفضى هذا الأمر إليك، وبايعك الناس كنت كرجل منهم، أدخل في صالح ما دخلوا فيه، فقد بايعتك، وبايعت الحجاج لك»[47].

6- صرفه للجيش الذي جاء لنصرته من ابن الزبير:

لما استُضعف ابن الحنفية من قبل عبد الله بن الزبير، وحُصر في الشعب بمكة، وكاد أن يحرق عليه بيته، إذا لم يبايع جاءه جيش من الكوفة لنصرته، قيل: سبعة آلاف[48]، وقيل: أربعة آلاف[49]، فأخرجوه من مكة إلى الطائف، قال وردان: «فسرنا معه ما سرنا، ولو أمرنا بالقتال لقاتلنا معه»[50]، إلا أن ابن الحنفية لم يستغل هذه الألوف لشق عصا المسلمين والدعوة لنفسه، بل إنه سرح هذا الجيش، وأعادهم إلى بلادهم، فقال: «الحقوا برحالكم، واتقوا الله، وعليكم بما تعرفون، ودعوا ما تنكرون، وعليكم بخاصة أنفسكم، ودعوا أمر العامة»[51].

7- اعتزاله الفتن وتحذيره منها، واختياره العزلة، وإيثاره الخمول على الشهرة:

اختار ابن الحنفية العزلة، وآثر الخمول على الشهرة[52]، واعتزل الفتن، وحذر منها ومن أسبابها، وكان ابن الحنفية كثيراً ما يحذر من استشراف الفتن والسعي لها، قال ابن الحنفية: «الفتنة من قابلها اجتيح»[53]، وقال أيضاً: «رحم الله امرأ كف يده، وأمسك لسانه، وأغنى نفسه، وجلس في بيته، له ما احتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب»[54]، وقال- أيضاً-: «اتقوا هذه الفتن؛ فإنها لا يستشرف لها أحد إلا استبقته»[55].

(45) انظر قوله في: أخبار مكة، للفاكهي (2/ 360)

(46) تاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 997)

(47) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 112)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 351)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (5/ 65).

(48) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 109).

(49) الطبقات الكبرى، لابن سعد (6/ 341)، وأخبار مكة، للفاكهي (2/ 360)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 997).

(50) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 106)، وحلية الأولياء، لأبي نعيم (3/ 174)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 343).

(51) المراجع السابقة.

(52) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (1/ 149).

(53) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 96).

(54) مصنف ابن أبي شيبة (11/ 103، 15/ 29)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 99).

(55) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 119).

ومن مساعي ابن الحنفية لإخماد الفتن سعيه لإخماد فتنة كانت تنشب لو دفن الحسن بن علي ﷺ مع النبي ﷺ عندما رفض بنو أميه ذلك، فقال لأخيه الحسين ﷺ: «يا أبا عبد الله، وكنت أرفقهم به، إنا لا ندع قتال هؤلاء القوم جبنا عنهم، ولكنا إنما نتبع وصية أبي محمد، إنه- والله- لو قال: ادفنوني مع النبي ﷺ لمتنا من آخرنا، أو ندفنه مع النبي ﷺ، ولكنه خاف ما قد ترى، فقال: إن خفتم أن يهراق فيّ محجم من دم، فادفنوني مع أمي، فإنما نتبع عهده وننفذ أمره، قال: فأطاع حسين بعد أن ظننت أنه لا يطيع، فاحتملناه حتى وضعناه بالبقيع»[56].

المطلب الثاني: عقيدة ابن الحنفية السلفية.

محمد ابن الحنفية من كبار علماء السلف الصالح، فقد تربى في كنف والده علي ﷺ وأخذ عنه وعن بقية الصحابة، وكان إماماً من كبار أئمة التابعين الذين تؤخذ عنهم عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد وردت عنه نصوص تدل على جلالة قدره في هذا الباب، وسوف أعرض بعض تلك النصوص الدالة على ذلك.

المسألة الأولى: تحذيره من الخصومات في الله، تعالى.

كان دأب ابن الحنفية التحذير من كل البدع المحدثة في الدين، ونهيه عن الخصومات في الله- تعالى-، وعما يكره من المناظرة والجدال والمراء التي اشتغلت به الأمم السابقة حتى وقعت في الضلالة، قال محمد ابن الحنفية: «إن قوما ممن كانوا قبلكم أوتوا علما كانوا يكتفون به، فسألوا عما فوق السماء وما تحت الأرض فتاهوا، فكان أحدهم إذا دعي من بين يديه أجاب من خلفه، وإذا دعي من خلفه أجاب من بين يديه»[57]، وعنه-أيضاً- قال: «لا تنقضي الدنيا حتى تكون خصوماتهم في ربهم»[58]، وقال- أيضاً-: «لا تهلك هذه الأمة حتى تتكلم في ربها»[59]، وكان ينهى عن مجالسة أهل البدع والخصومات في الدين، فعنه قال: «لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله»[60].

المسألة الثانية: ما في المصاحف هو كلام الله- تعالى- وليس منه شيء ناقص.

يعتقد ابن الحنفية أن ما في المصحف هو كلام الله- تعالى- وأن ما في المصحف ليس منه شيء ناقص، فعن عبد العزيز بن رفيع (ت130هـ) قال: «دخلت أنا

(56) الطبقات الكبرى، لابن سعد (6/ 388-389)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (13/ 291).

(57) الرد على الجهمية، للدارمي (29)، وذم الكلام وأهله، للهروي (4/ 89)، وحلية الأولياء، لأبي نعيم (3/ 176).

(58) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 114)، والرد على الجهمية، للدارمي (25).

(59) الرد على الجهمية، للدارمي (25)، وذم الكلام وأهله، للهروي (4/ 54).

(60) ذم الكلام وأهله، للهروي (4/ 306).

وشداد بن معقل على ابن عباس ﷺ فقال له شداد بن معقل: أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين، قال: ودخلنا على محمد ابن الحنفية فسألناه، فقال: ما ترك إلا ما بين الدفتين»[61]، وقد بين العلماء أن كلام ابن عباس وابن الحنفية يدل على أمرين: الأول: أن ما بين الدفتين كلام الله- تعالى- لا كلام غيره، قال ابن حجر: «وأجمع السلف على أن الذي بين الدفتين كلام الله»[62]. والأمر الثاني: أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً من القرآن الذي يتلى إلا ما بين الدفتين، فليس منه شيء ناقص، قال ابن حجر: «وهذه الترجمة للرد على من زعم أن كثيرا من القرآن ذهب لذهاب حملته، وهو شيء اختلقه الروافض»[63].

المسألة الثالثة: إخلاص العمل لله، والتحذير من الشرك.

كان ابن الحنفية يحرص على إخلاص العمل لله - تعالى- وينهى عن الشرك، وله أقوال عدة منها: قال المنذر قال ابن الحنفية: «يا منذر، قلت: لبيك. قال: كل ما لا يبتغى به وجه الله- تعالى- يضمحل»[64]، وهذا موافق لقوله- تعالى-: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:88)، وما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله - تبارك وتعالى-: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[65].

المسألة الرابعة: فاعل الكبيرة ليس بكافر.

يذهب ابن الحنفية- كما يذهب أهل السنة- إلى أن صاحب الكبيرة غير المستحل لها ليس بكافر، بل هو من أمة محمد ﷺ، وأن حسناته ليست باطلة بسبب كبيرته، قال محمد ابن الحنفية في تفسير قوله- تعالى-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (فاطر:32): «إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنات عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله»[66]، فقسم المنتسبين للإسلام إلى سابق بالخيرات، ومقتصد، وظالم لنفسه، وكلهم من الأمة، وفي نص آخر عن ابن الحنفية عدَّ أعمال الفاجر من أمة محمد ﷺ مقبولة مُجازى عليها، مما يعني أنه ليس بكافر، وأنه حسناته لم تحبط بمعصيته، فقال في تفسير قوله - تعالى-: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ (الرحمن:60)، قال: «هي مسجلة للبر والفاجر»[67]، ومن طريق آخر عنه قال: «هي

(61) أخرجه البخاري (5019)، والدفتين: تثنية دفة، بفتح أوله، وهو اللوح، انظر: فتح الباري، لابن حجر (9/ 65).

(62) فتح الباري، لابن حجر (13/ 493).

(63) المرجع السابق (9/ 65).

(64) حلية الأولياء، لأبي نعيم (3/ 176).

(65) أخرجه مسلم (2985).

(66) تفسير الطبري (20/ 467).

(67) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (59)، وقال الألباني: حسن.

في البر والفاجر»[68]، وأخرجه الطبراني (ت360هـ) عنه بلفظ: «هي للبر والفاجر»، وعلق عليه الطبراني بقوله: «يعني ممن قال: لا إله إلا الله»[69]، ونقل البيهقي (ت458هـ) تفسيرا لأبي عبيد القاسم بن سلام لكلام ابن الحنفية، فقال: «قال أبو عبيد: من حديث ابن الحنفية في قوله: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ (الرحمن:60)، قال: هي مسجلة للبر والفاجر، قوله: مسجلة يعني: مرسلة لم يشرط فيها برا دون فاجر، يقول: فالإحسان إلى كل أحد جزاؤه الإحسان، وإن كان الذي يصطنع إليه فاجرا»[70].

المسألة الخامسة: كل شيء بقدر.

لما ذكر اللالكائي (ت418هـ) قول السلف في أن كل شيء بقدر ساق نصوص السلف المثبتة لذلك، وكان مما ساقه مقولة ابن الحنفية: «من أحب رجلا على عدل ظهر فيه، وهو في علم الله من أهل النار، آجره الله، كما لو كان من أهل الجنة، ومن أبغض رجلا على جور ظهر منه، وهو في علم الله من أهل الجنة، آجره الله، كما لو كان من أهل النار»[71]، فدل كلام ابن الحنفية أن مصير العبد إما إلى جنة أو إلى نار هو بعلم الله وقضائه.

المسألة السادسة: محبته لأصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

تضافرت النصوص عن ابن الحنفية في بيان عقيدته الجلية الدالة على محبته لأصحاب رسول الله ﷺ، وعدم بغض أحد منهم، وهذا هو المذهب الحق عن آل البيت، لا كما يزعمه المفرقون بين آل البيت، وبقية الصحابة.

أولاً: ثناء محمد ابن الحنفية على أبي بكر، وعمر، رضي الله عنهما.

ونقله عن أبيه ما يدل على فضلهما، ولو كان في قلبه شيء منهما ما روى تلك الفضائل: فعن محمد بن الحنفية قال: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان[72]، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»[73]، قال ابن تيمية (ت728هـ): «وهذا يقوله لابنه، بينه وبينه، ليس هو مما يجوز أن يقوله تقية، ويرويه عن أبيه خاصة، وقاله على المنبر»[74]، وعن

(68) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (11/ 393)

(69) الدعاء، للطبراني (448).

(70) شعب الإيمان، للبيهقي (11/ 395).

(71) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي (4/ 764)، وقد ذكر هذه المقولة لما ساق قول السلف في أن كل شيء بقدر.

(72) تعجل ابن الحنفية في سؤال أبيه في قوله: «فخشيت أن يقول عثمان» إنما هو لحداثة سنه وعجلته ومحبته لأبيه، لا لكره عثمان، ويفسره قوله في رواية الإمام أحمد في كتابه فضائل الصحابة (1/ 382): «ثم عجلت للحداثة».

(73) أخرجه البخاري (3671).

(74) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (6/ 137، 7/ 512)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (4/ 408).

سالم بن أبي الجعد (ت100هـ)، قال: قلت لمحمد ابن الحنفية: «هل كان أبو بكر ﷺ أول القوم إسلاما؟ قال: لا، قلت: فلأي شيء سبق عليهم، حتى لا يذكر فيهم غيره؟، قال: لأنه كان أفضلهم إسلاماً حين أسلم، فلم يزل كذلك حتى قبضه الله، تعالى»[75]، وعن ابن الحنفية قال: «دخل أبي على عمر، وهو مسجى بالثوب، فقال: ما أحد من الناس أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى»[76].

وأورث محمد ابن الحنفية حب أبي بكر وعمر لأولاده، ومنهم ابنه الحسن بن محمد ابن الحنفية، فقد جاء عن الحسن أنه قال: «يا أهل الكوفة، اتقوا الله، ولا تقولوا في أبي بكر وعمر ما ليسا له بأهل، إن أبا بكر الصديق ﷺ كان مع رسول الله ﷺ في الغار ثاني اثنين، وإن عمر أعز الله به الدين»[77].

ثانياً: ثناء محمد بن الحنفية على عثمان ﷺ، وزجر من سبه.

لم يكن ابن الحنفية يرضى أن يسب عثمان ﷺ، بل كان يزجر عن ذلك، ولا يذكره إلا بخير، وينقل عن أبيه ذلك، فعن منذر الثوري قال: «كنا عند محمد بن الحنفية، قال: فنال بعض القوم من عثمان، فقال: مه، فقلنا له: كان أبوك يسب عثمان، قال: ما سبه، ولو سبه يوما لسبه يوم جئته، وجاءه السعاة، فقال: خذ كتاب السعاة، فاذهب به إلى عثمان، فأخذته، فذهبت به إليه، فقال: لا حاجة لنا فيه، فجئت إليه فأخبرته، فقال: ضعه موضعه، فلو سبه يوما لسبه ذلك اليوم»[78]، وقال ابن الحنفية: «يا ابن عباس، تذكر عشية الجمل، أنا عن يمين علي، وأنت عن شماله، إذ سمعنا الصيحة من قبل المدينة، قال: فقال ابن عباس: نعم، التي بعث بها فلان بن فلان، فأخبره، أنه وجد أم المؤمنين عائشة واقفة في المربد تلعن قتلة عثمان، فقال علي: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر، أنا عن يمين علي، وهذا عن شماله، فسمعته من فيه إلى فيّ، وابن عباس، فوالله ما عبت عثمان إلى يومي هذا»[79].

ثالثاً: ثناء محمد بن الحنفية على الصحابة ونهيه عن سبهم.

عن محمد ابن الحنفية قال: «كان ابن عمر خير هذه الأمة»[80]، وعنه قال يوم مات ابن عباس: «اليوم مات

(75) تاريخ دمشق، لابن عساكر (30/ 46).

(76) الطبقات الكبرى، لابن سعد (3/ 344).

(77) تاريخ دمشق، لابن عساكر (13/ 378)، وفي كتاب الإرجاء، للحسن بن محمد قال: (ونرضى من أئمتنا بأبي بكر وعمر، ونرضى أن يطاعا ونسخط أن يعصيا، ونعادي لهما من عاداهما). تاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 1083).

(78) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (15/ 227)، وأخرجه البخاري (4/ 83) برواية مختصرة.

(79) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (15/ 267)، وقريب منه في الفتن، لنعيم بن حماد (1/ 171).

(80) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (3/ 646)

رباني هذه الأمة»[81]، وكان ينهى شيعته من اللعن الذي سلكه كثير منهم لسب الصحابة، فقال لشيعته - وكانوا عند بابه -: «إنا لا نحب اللعانين، ولا المفرطين»[82].

***

المبحث الثاني

تاريخ الغلو في محمد ابن الحنفية، وموقفه من الغلاة

ابتلي آل البيت بطائفتين متقابلتين: طائفة تنقص قدرهم، ولا تقيم لهم مكانة، وطائفة أخرى أدهى، وهي التي غلت فيهم، واعتقدت فيهم عقائد باطلة، وقد كان محمد بن علي ابن الحنفية ممن ابتلي بكثرة الأتباع الذين اعتقدوا فيه عقائد باطلة ضالة، ولم يكن ابن الحنفية راضيًا عن هؤلاء المتشيعين له، بل كان يكذب حديثهم، ويحذر منهم.

المطلب الأول: تاريخ الغلو في محمد ابن الحنفية[83].

بذرة الغلو في ابن الحنفية كانت في زمن الحسن بن علي ﷺ عندما تنازل عن الخلافة لمعاوية ﷺ، وذلك أن الشيعة ساءها ذلك الصنيع من الحسن ﷺ، «وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، كل ذلك يأبى، فقدم منهم قوم إلى محمد ابن الحنفية، فطلبوا إليه أن يخرج معهم فأبى، وجاء إلى الحسين، فأخبره بما عرضوا عليه، وقال: إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا، ويشيطوا دماءنا»[84]، قال النوبختي (ت310هـ): «وفرقة قالت بإمامة محمد ابن الحنفية، لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه، فسموا الكيسانية»[85].

قلت: وهذا يدل على أن الدعوة لإمامة ابن الحنفية، والقول بمهديته، قد سبقت دعوة المختار بن أبي عبيد التي لم يبدأها إلا بعد مقتل الحسين ﷺ، إلا أن هذه الدعوة المتقدمة لم يلتفت إليها ابن الحنفية، ولم تقم لها قائمة، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى أعادها المختار بعد مقتل الحسين ﷺ، وكانت بداية اتصال المختار بابن الحنفية لما كان بمكة أيام ابن الزبير، وكان يختلف إلى محمد ابن الحنفية قبل أن يخرج للكوفة قريباً من عام (64)، وكان ابن الحنفية ليس فيه بحسن الرأي، ولا يقبل كثيرا مما يأتي به، ويتحرز منه، وأنه ليس بكبير أمانة[86]، ثم قدم المختار الكوفة عام (64هـ)[87] ودعا إلى

(81) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (2/ 951)، والحاكم في المستدرك (3/ 616).

(82) مصنف ابن أبي شيبة (11/ 103).

(83) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 100)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (51)، والتبصير في الدين، للأسفراييني (33).

(84) الطبقات الكبرى، لابن سعد (6/ 422)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (14/ 205) وتاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 571).

(85) فرق الشيعة، للنوبختي (23).

(86) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 99).

(87) انظر: تاريخ الطبري (3/ 395)، والبداية والنهاية، لابن كثير (11/ 685).

ابن الحنفية، وأخذ يدعو الناس إلى بيعته، وزور على لسانه كتباً، فدخل في طاعته جمع جمّ، فتقوى بهم، وجعل أمر المختار يغلظ في كل يوم ويكثر تبعه، وجعل يتتبع قتلة الحسين ومن أعان عليه فيقتلهم، ويرسل برؤوسهم إلى ابن الحنفية في مكة[88]، ثم تبين للشيعة في الكوفة كذب المختار على ابن الحنفية، وقصدوا ابن الحنفية بمكة يسألونه عن حقيقة أمر المختار، وهل هو مرسول من قبله أم لا؟، فقال ابن الحنفية: «والله ما بعثت المختار داعيا ولا ناصرا»[89]، وقال معاوية بن ثعلبة: «أتيت محمد ابن الحنفية، فقلت: إن رسول المختار أتانا يدعونا، قال: فقال لي: لا تقاتل، إني لأكره أن أبتز هذه الأمة أمرها، أو آتيها من غير وجهها»[90].

ولما وقف محمد ابن الحنفية على ذلك تبرأ منه[91]، وأظهر لأصحابه أنه إنما نمس[92] على الخلق ذلك ليتمشى أمره، ويجتمع الناس عليه[93]، وخاف ابن الحنفية أن يقع بسببه فتنة في الدين، وهمَّ ليقدم الكوفة أيام المختار ويكذبه ويقبض عليه، فلما علم به المختار وخاف على نفسه منه، اختار قتله بحيلة، فقال لقومه: «المهدي محمد ابن الحنفية، وأنا على ولايته، غير أن للمهدي علامة، وهي أن يضرب عليه بالسيف، فلا يحيك فيه السيف، وأنا أجرب هذا السيف على محمد ابن الحنفية، فإن حاك فيه فليس بمهدي»، فلما بلغ إلى ابن الحنفية هذا الخبر خاف أن يقتله بما ذكرناه من حيلته، فتوقف حيث كان[94].

المطلب الثاني: الفرق الغالية في محمد ابن الحنفية، ومآلهم.

المسألة الأولى: الفرق الغالية في محمد ابن الحنفية.

1 - **الكيسانية المختارية**: أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهو أول[95] من قام ببدعة الكيسانية، ودعا إلى إمامة محمد ابن الحنفية، واختلف في المراد بكيسان على عدة أقوال[96]، والكيسانية فرق كثيرة[97]،

(88) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 100)، وتاريخ الطبري (3/ 465)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (45/ 58).

(89) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 107).

(90) مصنف ابن أبي شيبة (11/ 103)

(91) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (1/ 149)، وتاريخ ابن خلدون (1/ 248).

(92) أي لبس على الخلق، انظر: القاموس المحيط (747).

(93) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (1/ 148).

(94) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 103)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 343)، والتبصير في الدين، للأسفراييني (33).

(95) الفرق بين الفرق، للبغدادي (51)، والتبصير في الدين، للأسفراييني (33).

(96) الأول: أنه المختار سمي لكيسه: المقالات (18)، والثاني: أن صاحب شرطة المختار اسمه كيسان: فرق الشيعة للنوبختي (23)، والثالث: أنه مولى لعلي ﷺ: مقالات الإسلاميين، للأشعري (18)، والرابع: أنه تلميذ لابن الحنفية. الملل والنحل، للشهرستاني (1/ 147).

(97) ذكر الأشعري في مقالات الإسلاميين، (18) إحدى عشرة فرقة لها، وأطال النوبختي في كتابه فرق الشيعة (26-36) في ذكر فرق الكيسانية، وقال: هم أكثر الفرق اختلافاً، وكلهم=

ويرجع محصّلها في ذكر أئمتهم إلى فرقتين[98]: فرقة تقول: إن محمد ابن الحنفية لم يمت، وهو المهدي المنتظر، وفرقة أخرى ينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره، ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه، وأما في الاعتقاد فيعتقدون في ابن الحنفية اعتقادا فوق حده ودرجته، من إحاطته بالعلوم كلها، وغيرها من صفات الغلو، وقولهم بجواز البداء على الله ﷻ، ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وضعف الاعتقاد بالقيامة، والقول بالتناسخ والحلول، والرجعة بعد الموت[99].

2- **الهاشمية**: أتباع أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، قالوا بموت محمد ابن الحنفية، وانتقال الإمامة منه إلى ابنه أبي هاشم، وإنه أفضى إليه بأسرار العلوم، وأطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس، وتقدير التنزيل على التأويل، وتصوير الظاهر على الباطن، وقالوا: إن لكل ظاهر باطناً، ولكل شخص روحاً، ولكل تنزيل تأويلا، ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم، والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار يجتمع في الشخص الإنساني، وهو العلم الذي استأثر علي ﷺ به ابنه محمد ابن الحنفية، وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم، وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقا[100].

3- **العباسيون**: من فرق الكيسانية القائلون بإمامة ابن الحنفية، ثم ابنه أبي هاشم، ثم حولها أبو هاشم من سلالة محمد ابن الحنفية إلى سلالة بني العباس على يد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (ت125هـ) عندما أوصى به، وكان تشيّعه وبنوه أصله من قبل محمد ابن الحنفية، وإلى ذلك دعا أبو مسلم الخراساني (ت137هـ) حتى كان زمان محمد المهدي بن أبى جعفر عبد الله المنصور (ت169هـ)، فردّهم إلى إثبات الإمامة للعباس بن عبد المطلب، ثم مدها من بعده في ولده عبدالله بن عباس إلى أبي جعفر، ثم ابنه المهدي، ثم مدها في ولده[101].

4- **البيانية**: أتباع بيان بن سمعان التميمي الذين كان يقول بإمامة محمد ابن الحنفية، وأن الإمامة صارت من محمد ابن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد، ثم صارت من أبى هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته إليه، والبيانية من الغلاة، وكذلك زعمت انتقال روح الإله من محمد ابن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم، ثم إلى بيان،

=حيارى متقطعون، ينتظرون أئمتهم الموتى.

(98) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي (30-31).

(99) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي (46-47)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 147).

(100) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (1/ 150-151).

(101) انظر فيما سبق: فرق الشيعة، للنوبختي (48)، وأخبار الدولة العباسية (165)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (47-48).

وكان يدعي لنفسه الإلهية على معنى الحلول، وبعضهم قال: إنه كان نبيا، وإنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ وقالوا هو المراد بقوله: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:138)، وقد قُتل بعد المائة على يد خالد بن عبدالله القسري (ت126هـ) أمير العراق[102].

5- **الحربية**: هؤلاء أتباع عبد الله بن عمر بن حرب الكندي، وكان على دين البيانية في دعواها أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى ابن الحنفية، ثم إلى ابنه أبي هاشم، ثم زعمت الحربية أن تلك الروح انتقلت إلى عبد الله بن عمرو بن حرب، وادعت الحربية في زعيمها عبد الله بن عمرو بن حرب مثل دعوى البيانية في بيان بن سمعان[103].

6- **الخرمية أو الخرمدينية**[104]: ومن الفرق المنتسبة لابن الحنفية نشأت الخرمية، فقالوا: إن الأئمة آلهة، وأنهم أنبياء، وأنهم رسل، وأنهم ملائكة، وقالوا بالتناسخ في الأرواح، وهم أهل القول بالدور في هذه الدار، وإبطال القيامة والبعث والحساب، وزعموا أن لا دار إلا الدنيا، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره[105]، ولا يقولون بأحكام ولا حلال ولا حرام[106].

7- **الرزامية**: أتباع رزام بن رزم، قالوا: الإمامة لمحمد بن الحنفية، ثم ابنه عبد الله، ثم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ثم أولاده إلى المنصور، ثم حل الإله في أبي مسلم الخراساني، وأنه لم يقتل، وقالوا بتناسخ الأرواح، واستحلوا المحارم، وتركوا الفرائض[107].

8- **السراجية**: أصحاب حسان السراج، وهم يزعمون أن ابن الحنفية ميت بجبال رضوى، وأنه يبعث إذا بعث الخلق، ويملأ الأرض عدلا حينئذ بالرجعة[108].

9- **الكربية**: أصحاب أبي كرب الضرير، يقولون: إن محمد ابن الحنفية لم يمت ولم يقتل، وإنه في جبل رضوى، وعنده عين من الماء، وعين من العسل يتناول منهما، وعنده أسد ونمر يحفظانه من الأعداء إلى أن يؤذن له في الخروج، وهو المهدي المنتظر عندهم[109].

10- **المغيرية**: أصحاب المغيرة بن سعيد، أثبتوا له النبوة، وزعموا أن محمد ابن الحنفية لو شاء أحيا الخلق

(102) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي (216)، والتبصير في الدين، للأسفراييني (124).

(103) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي (221)، والتبصير في الدين، للأسفراييني (32).

(104) خرم: اسم أعجمي، معناه: الشيء المستلذ، وهم أهل الإباحة من المجوس. قاله الذهبي في تاريخ الإسلام (6/ 473).

(105) فرق الشيعة، للنوبختي (36).

(106) الملل والنحل، للشهرستاني (2/ 41).

(107) انظر: التبصير في الدين، للأسفراييني (130)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 153).

(108) انظر: البدء والتاريخ، للمقدسي (5/ 129).

(109) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (27)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (27)، والتبصير في الدين، للأسفراييني (31).

حتى عاداً وثموداً، فأخذه خالد القسري، فقتله، وصلبه[110].

11- **القرامطة**[111]: قالوا بإمامة ابن الحنفية، وأن روح محمد ﷺ انتقلت إليه، وقال بعضهم: هو المهدي، وإنه جبريل، وإنه هو المسيح، وإنه هو الدابة، ويزيدون في أذانهم: وإن نوحا رسول الله، وإن عيسى رسول الله، وإن محمد ابن الحنفية رسول الله، وغير ذلك من مقولات الكفر[112].

المسألة الثانية: الشعراء الغالون في محمد بن الحنفية.

1- كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المشهور: بكثّير عزة[113] (ت107هـ): كان كثّير عزة شيعياً على مذهب الكيسانية الذين ادعوا حياة محمد ابن الحنفية، ولم يصدقوا بموته، وأن مأواه جبل رضوى، وعن يمينه أسد، وعن يساره نمر، ويزعم أن الأرواح تتناسخ، وكان في زمن ابن الحنفية وفي العصابة التي أخرجته من حصار ابن الزبير، وقال في ذلك شعراً لما خرجوا به من مكة إلى الشام[114]:

أنت إمام الحق لسنا نمتري *
أنت الذي نرضى به ونرتجي
أنت ابن خير الناس من بعد النبي *
يا ابن علي سر ومن مثل علي
حتى تحل أرض كلب وبلي *

.....

2- السيد إسماعيل بن محمد الحميري (ت173هـ): وكان الشاعر المعروف بالسيد الحميري[115] -أيضاً- على مذهب الكيسانية الذين ينتظرون محمد ابن الحنفية، ويزعمون أنه محبوس بجبل رضوى إلى أن يؤذن له بالخروج، وله في ذلك أشعار كثيرة، وكان السيد إذا سئل عن مذهبه أنشد[116]:

سميّ نبيّنا لم يبق منهم *
سواه فعنده حصل الرجاء
فغيّب غيبةً من غير موت *
ولا قتل وسار به القضاء

(110) البدء والتاريخ، للمقدسي (5/ 130).

(111) القرامطة: نسبة إلى حمدان بن قرمط، ظهرت بسواد الكوفة عام (278هـ)، وتحيلت على المسلمين بطرق شتى، وتعتبر القرامطة فرقة منحرفة ملحدة من فرق الباطنية التي اتخذت التشيع شعارًا ومنارًا لتجميع الناس على دعوتهم وضلالهم، وأبطنت الكفر والزندقة. انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي (104)، والفصل، لابن حزم(4/ 187).

(112) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (6/ 471-473).

(113) انظر:الفرق بين الفرق، للبغدادي (28)، والتبصير في الدين، للأسفراييني (32)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 150).

(114) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 108)، وإكمال تهذيب الكمال، لمغلطاي (10/ 285).

(115) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي (51)، والتبصير في الدين، للأسفراييني (32)، ولسان الميزان، لابن حجر (1/ 436).

(116) فوات الوفيات، لصلاح الدين(1/ 190).

وبين الوحش ترعى في رياضٍ *
من الآفات مرتعها خلاء
تحلّ فما بها بشرٌ سواه *
بعقوته له عسل وماء
إلى وقت، ومدة كل وقت *
وإن طالت عليه لها انقضاء
فقل للناصب الهاذي ضلالاً *
يقوم وليس عندهم غناء

المسألة الثالثة: مآل الفرق المنتسبة لمحمد ابن الحنفية.

كانت شيعة محمد بن الحنفية في القرن الأول في زمنه وزمن ابنه أبي هاشم أكثر شيعة أهل البيت[117]، وكان أكثرهم بالعراق وخراسان[118]، ثم استمرت شيعته في القرن الثاني، وكان الشاعر السيد الحميري المتوفى عام (170هـ) يعتقد إمامة ابن الحنفية، وأنه المهدي، وأنه لم يمت، وكان يقول في ذلك أشعاراً مشهورة، وهذا يدل على أن قوله استمر لحدود عام (170هـ) قبل وفاته، وكذلك استمرت شيعته في الوجود حتى أواخر القرن الثالث، وقد تحدث النوبختي في زمنه عن فناء وانقراض الكيسانية إلا قليلا من أبنائهم[119]، ولما تحدث الذهبي(ت748هـ) عن عام (278هـ) وأن فيه خرجت القرامطة ذكر أنهم كانوا يتشيعون لابن الحنفية، وكان من عقيدتهم قولهم: إن محمد ابن الحنفية هو المهدي، وإنه جبريل، وإنه هو المسيح، وإنه هو الدابة، ويزيدون في أذانهم: أن محمد ابن الحنفية رسول الله[120]، وهذا يدل على وجود من يتشيع لابن الحنفية إلى عام (278هـ)، ثم بعد ذلك انقرضت شيعة ابن الحنفية، واختفت، وبقيت آراؤها وعقائدها في كتب الاثني عشرية[121]، فعقيدة البداء التي قالت بها الكيسانية المختارية أولاً تحولت مع مرور الزمن إلى عقيدة من عقائد الاثني عشرية، وكذلك عقيدة الرجعة التي قالت بها الكيسانية المختارية، وكذلك باقي عقائد الكيسانية المختارية وغيرها من فرق الشيعة القديمة دخل كله في التشيع الاثني عشري، حتى قالوا: إن لفظ الشيعة إذا أُطلق اليوم فلا ينصرف إلا إليها، وغيرها إما زيدية[122] وإما

(117) تاريخ ابن خلدون (3/ 217).
(118) المرجع السابق (4/ 6).
(119) فرق الشيعة، للنوبختي (29).
(120) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (6/ 471).
(121) الاثنا عشرية: هم الذين زعموا أن عليا هو الأحق في وراثة الخلافة، دون الشيخين وعثمان، ﷺ أجمعين، وقد أطلق عليهم الاثنا عشرية، لأنهم قالوا باثني عشر إماما معصوما من ولد علي ﷺ، وأجمعوا على إثبات الإمامة عقلاً، وأن إمامة علي وتقديمه ثابت نصا. انظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري (1/ 86)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 162).
(122) الزيدية: إحدى فرق الشيعة، وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين، وكان لا يتبرأ من أبي بكر وعمر، ويرى أن الإمامة تنعقد=

إسماعيلية[123]، فأصبحت الاثني عشرية هي الوريث لشيعة ابن الحنفية، ولم يعد لشيعة ابن الحنفية وجود اليوم[124].

وقد حاولت الاثنا عشرية منذ زمن قديم التدليل بأن شيعة ابن الحنفية أخذوا يتركون تشيعهم من ابن الحنفية إلى التشيع لأئمة الاثني عشرية كجعفر الصادق(ت148هـ)، ومثال ذلك ما قيل بأن السيد الحميري تحول من الكيسانية إلى الاثني عشرية، قال ابن حجر: «ولم نجد ذلك في رواية صحيحة»[125]، وزعموا أن السيد الحميري لما تحول للإمامية قال في قصيدة أولها: تجعفرت باسم الله والله أكبر. قال ابن حجر: «وهذه القصة من أكاذيب الرافضة[126]»[127].

المطلب الثالث: تحذير محمد ابن الحنفية من غلاة الشيعة وعقائدهم.

ورث ابن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ سلامة المعتقد، والدعوة إليه، والصبر في سبيله، وقول الحق، ولو أغضب الناس، وكان يأمر بتقوى الله- تعالى- والالتزام بطاعته الجامعة لكل خير، فقال في رسالته للمختار: «قد أمرته بطاعة الله، وطاعة الله تجمع الخير كله، وتنهى عن الشر كله»[128]، وكان يحذر من تأليه الرجال، وتقديم طاعتهم على طاعة الله، فعنه قال - على وجه الذم-: «أهل بيتين من العرب يتخذهما الناس أندادا من دون الله: نحن، وبنو عمنا هؤلاء، يعني: بني أمية»[129]، وكان ﷺ يأمر بطاعة رسوله ﷺ، فعنه قال: «حرف، وأيما حرف: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾

=للمفضول مع وجود الفاضل للمصلحة في ذلك، والزيدية يوافقون المعتزلة في الأصول الخمسة، وهم فرق: منها ما يقرب إلى أهل السنة، ومنها ما يقرب إلى الرافضة، وقد افترقت الزيدية ثلاث فرق: جارودية، وسليمانية، وبترية. انظر: المقالات(1/ 136)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (39).

(123) الإسماعيلية: هم الذين قالوا: الإمام بعد جعفر هو إسماعيل بن جعفر، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر، ومذهبهم: ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، فهم يُعطلون الله- تعالى- عن صفاته، ويُبطلون النبوة والعبادات، ويُنكرون البعث. انظر: الزينة، للرازي الإسماعيلي (287)، والفهرست، لابن النديم (267-268).

(124) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، للقفاري (3/ 979-981).

(125) لسان الميزان، لابن حجر (1/ 436).

(126) الرافضة: سموا بذلك؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقيل: لرفضهم زيد بن علي بن الحسين عندما أنكر عليهم الطعن في الشيخين، ومنعهم من ذلك، فرفضوا قوله. انظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري (1/ 65)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 144).

(127) المرجع السابق (1/ 437).

(128) تاريخ الطبري (3/ 472)، والبداية والنهاية، لابن كثير (12/ 34).

(129) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 96)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 1002)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (5/ 58).

(النساء:80)»[130].

المسألة الأولى: مقولات أهل الغلو في محمد ابن الحنفية.

انتسب لابن الحنفية فرق وأقوام غلوا فيه، ووصفوه بصفات التقديس والتأليه، وما لا يجوز أن يوصف به، فقيل: إنه هو الله ﷻ[131]، وقيل: إن روح الإله حلت في علي ﷺ ثم في ابنه ابن الحنفية[132]، وقيل: إنه نبي[133]، وإنه لم يمت، ولا يموت، ولا يجوز ذلك، ولكنه غاب، ولا يدري أين هو؟ وسيرجع، ويملك الأرض[134]، وإنه يعلم الغيب[135]، وعنده أسرار العلوم[136]، وإنه الخليفة الإمام، الوصي[137]، وإنه المهدي[138]، وإنه يجب طاعته، ولا تجوز مخالفته، ومن خالفه كافر مشرك[139]، وقيل فيه غير ذلك من أنواع مقالات الغلو التي لا تخرج إلا من ملحد ضال، وابن الحنفية منها براء.

المسألة الثانية: تحذير محمد ابن الحنفية من أهل الغلو فيه، وبيان كذبهم.

وكان من أشد الناس ذماً ومقتاً لهم، وقد تعددت عباراته، وتنوعت في ذم الغلاة فيه، وبراءته من عقائدهم، فكان يحذر من الكذب الذي تسلكه الشيعة في دينها، فقال لأحد السائلين له: «وإني أذكرك الله أن تبلغ عني ما لم تسمع مني، أو أن تقول علي ما لم أقل»[140]، وتمنى ابن الحنفية أن يفدي شيعته، فقال: «وددت لو فديت شيعتنا هؤلاء، ولو ببعض دمي»، لكن إنما منعه من ذلك: «حديثهم الكذب، وإذاعتهم الشر، حتى إنها لو كانت أم أحدهم التي ولدته أغرى بها حتى تقتل»[141].

وكان المختار بن أبي عبيد (ت67هـ) من أعظم من نصر ابن الحنفية، ومع كل ذلك «كان ابن الحنفية يكره أمر المختار وما يبلغه عنه، ولا يحب كثيرا مما يأتي به»[142]، ولم يمنعه من أن يحذر من المختار لما بلغه أنه

(130) ذم الكلام وأهله، للهروي (2/ 68).

(131) حكاه النوبختي في فرق الشيعة (27) عن حمزة بن عمارة البربري.

(132) قالت به البيانية أتباع بيان بن سمعان انظر:التبصير في الدين، للأسفراييني (124)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 152).

(133) ذكره ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 141) عن طائفة من الكيسانية.

(134) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (27- 29)، ونسبه إلى أصحاب ابن كرب، وأصحاب صائد، وأصحاب بيان.

(135) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (1/ 149).

(136) انظر تفسير هذه الأسرار في: فرق الشيعة، للنوبختي (52)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 150-151).

(137) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (26).

(138) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (26، 27)، وسوف أعقد فصلاً كاملاً في هذه المسألة والتي قبلها.

(139) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (26).

(140) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 98)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 345).

(141) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 99).

(142) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 101)، وتاريخ دمشق،=

يكذب عليه، ويرسل الكتب بلسانه مع عدم كتابته لها، ولما جاءه سائل يسأله عن المختار قال له ابن الحنفية: «نحن حيث ترون محتسبون، وما أحب أن لي سلطان الدنيا بقتل مؤمن بغير حق، ولوددت أن الله انتصر لنا بمن شاء من خلقه، فاحذروا الكذابين، وانظروا لأنفسكم ودينكم، فانصرفوا على هذا»[143].

ولم يكن هذا التحذير من ابن الحنفية مختصا بالمختار بن أبي عبيد، بل كان يحذر كل من يسلك طريق الغلو من المتشيعين له ولأهل بيته، فعن أبي عقيل قال: «كنا على باب ابن الحنفية بالشعب فخرج ابن له -له ذؤابتان- فقال: يا معشر الشيعة، إن أبي يقرئكم السلام، قال: فكأنما كانت على رؤوسهم الطير، قال: إن أبي يقول: إنا لا نحب اللعانين، ولا المفرطين، ولا المستعجلين بالقدر»[144]، ولما سمع ابن الحنفية أن بعض البيوت في الكوفة يجتمع إليها كل غال من الشيعة، ويتحدثون سراً من دون الناس، كتب إلى الشيعة بالكوفة يحذرهم هؤلاء، فكتب إليهم: «من محمد بن علي، إلى من بالكوفة من شيعتنا، أما بعد، فاخرجوا إلى المجالس والمساجد، فاذكروا الله علانية وسرا، ولا تتخذوا من دون المؤمنين بطانة، فإن خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذابين»[145].

وكان ابن الحنفية ينكر على شيعته أن يكون عندهم علم اختصوا به من دون الناس، أو أن النبي ﷺ خصهم بكتاب، قال أبو العريان المجاشعي: «بعثنا المختار في ألفي فارس إلى محمد ابن الحنفية، قال: فكنا عنده... قال: فبلغ محمدا أنهم يقولون: إن عندهم شيئاً - أي: من العلم- قال: فقام فينا، فقال: إنا- والله- ما ورثنا من رسول الله إلا ما بين هذين اللوحين، ثم قال: اللهم خلا، وهذه الصحيفة في ذؤابة سيفي، قال: فسألت: وما كان في الصحيفة؟ قال: من أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً»[146].

***

المبحث الثالث

دعوى أن محمد ابن الحنفية هو المهدي الموعود به في آخر الزمان

من أشهر العقائد التي قالها أتباع ابن الحنفية في القرن الأول والثاني هو القول بأن ابن الحنفية هو المهدي الموعود بخروجه في آخر الزمان، وقد كانت هذه العقيدة من شيعة ابن الحنفية هي الشرارة الأولى التي قلدتها جميع

=لابن عساكر (54/ 343)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 994).

(143) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 100)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 342).

(144) مصنف ابن أبي شيبة (11/ 103).

(145) تاريخ الطبري (3/ 489).

(146) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 106).

فرق الشيعة في أئمتها، فقالوا في كل إمام عندهم: إنه المهدي.

المطلب الأول: رأي شيعة محمد ابن الحنفية في أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان.

المسألة الأولى: اعتقاد شيعة ابن الحنفية أنه هو المهدي الموعود به في آخر الزمان.

إن النصوص التاريخية التي ذكرتها كتب التراجم والفرق والعقائد تؤكد أن محمد ابن الحنفية هو أول من أطلق عليه أتباعه اسم المهدي[147]، وزعموا أن أباه علي بن أبي طالب ﷺ هو الذي سمى محمد ابن الحنفية المهدي، فقد «كان السيد الحميري يزعم أن علياً ﷺ سمى محمداً ابنه المهدي، وأنه الذي بشر به النبي ﷺ أنه يخرج في آخر الزمان»[148]، وذكر النوبختي أن أصحاب ابن كرب- ويسمون الكربية- قالوا: «إن محمد ابن الحنفية هو المهدي، سماه علي ﷺ مهدياً»[149].

وتسمية شيعة ابن الحنفية له بالمهدي، واعتقادها كانت قديمة في حياته، وكانت تقال بين يديه، إلا أنه كان رحمه الله يقبلها بمعنى أنه الهادي للخير، لا أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان، فقد ورد «وكان يقول لمن يقول إنه المهدي: أجل، أنا مهدي، أهدي إلى الخير، ولكن إذا سلم أحدكم علي فليقل: السلام عليك، يا محمد، ولا تقولوا: يا مهدي»[150]، وسيأتي تفصيل رده - رحمة الله عليه -. ومع ذلك، فإن شيعته الغالين استمروا على إطلاق لفظ المهدي عليه: فعن أبي جمرة قال: «كانوا يسلمون على محمد بن علي: سلام عليك، يا مهدي، فقال: أجل، أنا مهدي»[151]، وإذا قيل له: «السلام عليك، يا مهدي، قال: وعليك السلام»[152]، وكانت زوجته تناديه بالمهدي، فعن منذر الثوري: «رأيت محمد ابن الحنفية يتلوى على فراشه وينفخ، فقالت له امرأته: ما يكرثك، يا مهدي»[153]، وسبق أن من أتباعه الشاعر كثيّر عزة، وكان يطلق عليه اسم المهدي في أشعاره، ومن شعر كثيّر في ابن الحنفية[154]:

هو المهدي خبرناه كعب * أخو الأحبار في الحقب الخوالي

وزعموا أن أبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني

(147) انظر: الثقات، لابن حبان (5/ 347- 348).

(148) فوات الوفيات، لصلاح الدين (1/ 190).

(149) فرق الشيعة، للنوبختي (27).

(150) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي (2/ 545) وسيأتي تفصيل رده، رحمه الله عليه.

(151) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 96)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 347)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (4/ 123).

(152) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 97).

(153) تاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 348)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 1002).

(154) تاريخ دمشق، لابن عساكر (50/ 98).

(100هـ) سار بين يديه، وقال في ذلك المسير لأتباعه[155]:

يـــا إخـــوتي يـــا شـــيعتي لا تبعـــدوا ❋

ووازروا **المهـــــدي** كـــــيما تهتـــــدوا

محمـــــد الخـــــيرات يـــــا محمـــــد ❋

أنـــــت الإمـــــام الطـــــاهر المـــــسدد

وكان للمختار بن أبي عبيد أثر كبير في ذلك، فقد كان من أول من أشاع أن ابن الحنفية هو المهدي، وذلك أنه لما قدم المختار الكوفة عام (64هـ)[156] روج لعقيدة أن ابن الحنفية هو الإمام المهدي الموعود به في أخبار النبي ﷺ، وأخذ يسميه بالمهدي[157]، «وأخذ يقول للشيعة: إني قد جئتكم من قبل **المهدي** محمد بن علي بن الحنفية مؤتمنا مأمونا منتجباً ووزيراً»[158]، ويقول- أيضاً-: «قد جئتكم من قبل ولي الأمر، ومعدن الفضل، ووصي الوصي، والإمام **المهدي**، بأمر فيه الشفاء، وكشف الغطاء، وقتل الأعداء، وتمام النعماء»[159]، وكان المختار يكتب لابن الحنفية، ويسميه بالمهدي، ومن ذلك قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، **للمهدي** محمد بن علي، من المختار بن أبي عبيد، سلام عليك، **يا أيها المهدي**، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الله بعثني نقمة على أعدائكم...»[160].

وقد كان المختار يزوّر رسائل على ابن الحنفية، ويزعم فيها أنه يكتب له باسم المهدي، ويدعوه لنصرته، ومن ذلك أنه لما أراد المختار أن يضم إليه القائد إبراهيم بن الأشتر (ت71هـ) صنع المختار كتاباً على لسان ابن الحنفية، وقرأه المختار على إبراهيم الأشتر: «وقد كتب إليك **المهدي** كتابا، وهؤلاء الشهود عليه، ثم أخرج الكتاب، وقرأه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد **المهدي** إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبي الذي ارتضيته لنفسي، وقد أمرته بقتال عدوي»[161].

وقد اكتشف أهل الكوفة في النهاية كذب المختار في كتاباته عن ابن الحنفية، وتسمية نفسه في رسائله بأنه المهدي، وأنه يطلب منه أن يقتص من قتلة الحسين ﷺ، فقد جاء عنهم قولهم: «إنه تأمر علينا بغير رضا منا، وزعم أن ابن الحنفية بعثه إلينا، وقد علمنا إن ابن الحنفية لم يفعل...»[162]، ولما قتل المختار بن أبي عبيد لم تنته عقيدة

(155) الفرق بين الفرق، للبغدادي (38).

(156) انظر: تاريخ الطبري (3/ 395)، والبداية والنهاية، لابن كثير (11/ 685).

(157) جاء في الطبقات الكبرى، لابن سعد (6/ 493): وسماه المهدي.

(158) تاريخ الطبري (3/ 395)

(159) البداية والنهاية، لابن كثير (11/ 689).

(160) تاريخ الطبري (3/ 465).

(161) تاريخ الطبري (3/ 438)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 342).

(162) انظر: تاريخ الطبري (3/ 455).

أن ابن الحنفية هو المهدي، بل انتقلت إلى فرق كثيرة تزعمت الدعوة لمهديته، وقد نقلت كتب الفرق والعقائد مقولات شيعة ابن الحنفية، ونصت على أن تلك الفرق كانت تعتقد أن ابن الحنفية هو المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ[163].

المسألة الثانية: علاقة المهدية بالإمامة والغيبة عند شيعة ابن الحنفية.

أولاً: علاقة مهدية ابن الحنفية بالإمامة:

المهدية مرتبطة بالإمامة، فالمهدي عند فرق الشيعة لا بد أن يكون إماماً، وكذلك هو القول عند شيعة ابن الحنفية؛ ولذلك حرصت شيعة ابن الحنفية على ادعاء أنه هو الإمام، وقد بدأ الاعتقاد بأنه أحق بالإمامة مما سواه قبل الاعتقاد بأنه هو المهدي، وقد تولى أهل الكوفة والمختار بن أبي عبيد الدعوة إلى إمامة ابن الحنفية، ولم تكن محاولاتهم لإظهار إمامته والدعوة لها مرة واحدة، بل كانوا يعيدونها الكرة بعد الكرة، وكان ابن الحنفية يرفض هذه الإمامة، ويتبرأ منها، وكانت بداية دعوة أهل الكوفة له بالإمامة لما تنازل الحسن ﷺ بالخلافة لمعاوية ﷺ، ثم أعادوها مرة أخرى لما مات الحسن، فكاتبوا الحسين فأبى، فتحولوا لأخيه ابن الحنفية، فنصحه الحسين بتركهم، ثم أعادوها مرة أخرى لما أخذ معاوية البيعة من الناس ليزيد، فأرسل أهل الكوفة للحسين بأن يخرج إليهم، ويكون إماما فرفض، ثم عدلوا لابن الحنفية، وكاتبوه، فاستشار أخاه الحسين ﷺ فرفض، وقال: «إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا، ويشيطوا دماءنا»[164]. وأما جهود المختار بن أبي عبيد[165] في الدعوة لمهدية وإمامة ابن الحنفية فقد كان متزعماً لذلك في السر في أول أمره، قبل ذهابه للكوفة، ثم أعلن ذلك، وجاهر به لما استولى على الكوفة[166]، وقد اختلفت الروايات عن شيعة ابن الحنفية في بداية زمن الدعوة له بالإمامة على قولين:

القول الأول: أن ابن الحنفية الإمام بعد أبيه علي ﷺ مباشرة، وهو وصي أبيه؛ لأنه دفع إليه الراية بالبصرة وفي صفين، وليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه، ولا يخرج عن إمامته، ولا يشهر سيفه إلا بإذنه، وإنما خرج الحسن ﷺ إلى معاوية محارباً له بإذن محمد ابن الحنفية، ووادعه وصالحه بإذنه، وأن الحسين ﷺ إنما خرج لقتال يزيد بإذنه، ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلا، وممن قال بذلك الرزامية، والكربية[167].

(163) سبق تفصيل الكلام عن تلك الفرق في المبحث الثاني.

(164) الطبقات الكبرى، لابن سعد (6/ 422)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (14/ 205) وتاريخ الإسلام، للذهبي (2/ 571).

(165) أطلت الكلام عن أثر المختار بن أبي عبيد في الدعوة لإمامة ومهدية ابن الحنفية في المطلب الثاني من المبحث الثاني.

(166) انظر البداية والنهاية، لابن كثير (8/ 251).

(167) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (26، 54)، ومقالات الإسلاميين، للأشعري (18)، والتبصير في الدين،=

والقول الثاني: أنه الإمام الرابع بوصية من أخيه الحسين ﷺ، وأنه لم يبق بعد الحسن والحسين ﷺ أحد أقرب إلى أمير المؤمنين علي ﷺ من محمد ابن الحنفية[168].

ثانياً: علاقة مهدية ابن الحنفية بالغيبة:

تعد السبئية[169] أول فرقة قالت بغيبة علي ﷺ، وأنه لم يقتل، ولم يمت، بل غاب، وسيعود[170]، ولكنها لم تقل فيه: أنه المهدي، ثم انتقلت فكرة الغيبة من السبئية إلى بعض شيعة ابن الحنفية، إلا أنها جمعت بين القول بالغيبة والقول بالمهدية في رجل واحد هو ابن الحنفية[171]، حيث قالت: إن محمد بن الحنفية لم يمت، وإنه في جبل رضوى، وعنده عين من الماء، وعين من العسل يتناول منهما، وعنده أسد ونمر يحفظانه من الأعداء إلى أن يؤذن له في الخروج، وهو المهدي المنتظر عندهم[172]. وقد تغنى شعراؤهم بذلك حتى قال شاعرهم كثّير عزة[173]:

ألا إن الأئمة من قريش *
ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه *
هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر *
وسبط غيبته كربلاء
وسبط[174] لا يذوق الموت حتى *
يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً *
برضوى عنده عسل وماء

وقال السيد الحميري في ابن الحنفية[175]:

ألا قل للوصي فدتك نفسي *
أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منا *
وساموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً *
مقامك عنهم سبعين عاماً

=للأسفراييني (31).

(168) انظر فرق الشيعة، للنوبختي (54).

(169) هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي غلا في علي ﷺ، وادعى أن علياً كان نبياً، ثم زعم أنه إله، وزعم أن علياً لم يمت، وأنه يجيء في السحاب، والرعدَ صوته، والبرق تبسمه، وهم أول فرقة قالت بالغيبة والرجعة، وبتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي ﷺ. انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي (233)، ومقالات الإسلاميين، للأشعري (15).

(170) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (22)، ومقالات الإسلاميين، للأشعري (1/ 86)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 174).

(171) فرق الشيعة، للنوبختي (27)، ومقالات الإسلاميين، للأشعري (1/ 92)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (39).

(172) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (27)، والبدء والتاريخ،= =للمقدسي (5/ 128)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (27).

(173) مقالات الإسلاميين، للأشعري (19)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 322).

(174) يقصد بهذا السبط: ابن الحنفية.

(175) فرق الشيعة، للنوبختي (30)، والأنساب، للسمعاني (1/ 345).

ومـا ذاق ابـن خولـة طعـم مـوت *
ولا وارت لـــــه أرض عظامـــــاً
لقـد أمـسى بمـورق شـعب رضـوى *
تراجعـــــه الملائكـــــة الكلامـــــا
وإن لـــه بـــه لمقيـــل صـــدق *
وأنديـــــة تحدثـــــه كرامـــــاً
وإن لـــه لرزقـــاً مـــن طعـــام *
وأشربـــة يعـــل بـــه الفطامـــا
هـــدانا الله إذ جـــرتم لأمـــر *
وعليـــه نلـــتمس العظامـــا
تمـــام مـــودة المهـــدي حتـــى *
تـــروا راياتنـــا تـــترى نظامـــا

وقال- أيضاً- فيه[176]:

يا شعب رضوى مـا لمـن بـك لا يـرى *
وبنـــاء إليـــك مـــن الـــصبابة أولـــق
حتى متـى؟ وإلى متـى؟ وكـم المـدى؟ *
يـــا بـــن الـــوصي وأنـــت حـــي تـــرزق

ثم شاع التوقف على الإمام وانتظار عودته مهدياً بعد ذلك بين فـرق الـشيعة، فبعـد وفـاة كـل إمـام مـن آل البيت تظهر فرقة من أتباعه تدعي فيه هذه الـدعوى، وتنتظر عودتـه، وتختلـف فـيما بينهـا اختلافًـا شـديدًا في تحديد الإمام الذي وقفت عليه، وقدرت له العودة[177].

وقد اختلفت شيعة ابن الحنفية في غيبتـه، وأنـه لم يمت، ورجوعه بعد غيبته مهـدياً عـلى قـولين، بحـسب اختلافها على وقف الإمامة عليه أو انتقالها إلى غيره:

القول الأول[178]: من يرى أن الإمامة وقفت عـلى ابن الحنفية، وأنه لا إمام بعده، لا في ولده ولا في غيرهم، وإذا لم يكـن إمامـاً إلا هـو، فإنـه لم يمـت، بـل غـاب وسيرجع، وهو المهدي قبل غيبته وبعد غيبته، وذهب إلى ذلك: الكربية[179]، قال النـوبختي: «فالكيـسانية كلهـا لا إمام لها، وإنما ينتظرون الموتى إلا العباسـية، فإنهـا تثبـت الإمامة في ولد العباس، وقادوها فيهم إلى اليوم»[180].

القول الثاني[181]: من يرى أن الإمامة انتقلـت منـه

(176) أنـساب الأشراف، للـبلاذري (2/ 203)، وتـاريخ الإسـلام، للذهبي (2/ 995)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (5/ 57).

(177) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عـشرية، للقفـاري (2/ 825).

(178) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي (30-31)، وفرق الـشيعة، للنوبختي (27)، والبدء والتاريخ، للمقدسي (5/ 128).

(179) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (27-29).

(180) فرق الشيعة، للنوبختي (36).

(181) ذهب إلى ذلك إحدى فرق الكيسانية انظر: الفرق بين الفـرق، للبغدادي (30)، ونقلت الهاشمية الإمامة في ولده أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (1/ 150)، ونقلته العباسية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ونقلتـه البيانية إلى بيان بن سمعان انظر: الفرق بين الفـرق، للبغـدادي (216)، ونقلته الرزامية: إلى أبي مسلم الخراساني انظر: التبصير في الدين، للأسفراييني (130).

إلى غيره، وعلى هذا القول فإن ابن الحنفية مات، ولا يعود بعد موته في الدنيا، ومهديته كانت في زمن حياته فقط، واختلفوا في الإمام بعد موته، فقيل: انتقلت إلى ابنه عبد الله أبي هاشم، وهو أكبر ولده[182]، وافترقت الهاشمية بعده على فرق: الأولى: قالت فرقة مثل قول الكيسانية في أبيه بأنه المهدي، وأنه حي لم يمت[183]، والثانية: قالوا: مات أبو هاشم، لكنهم اختلفوا على قولين: القول الأول: مات، ولا وصى بعده، وسيرجع، فيقوم بأمور الناس، ويملك الأرض، وغلوا فيه. وهم البيانية أصحاب بيان بن سمعان[184]، والقول الثاني: أنه أوصى بعد موته، واختلفوا في الوصي على أقوال: فمنهم من قال: الإمامة بقيت في عقبه وصية بعد وصية، وهم الكيسانية الخُلّص، وتسمى المختارية، ومنهم من قال: إنها انتقلت إلى غيره، واختلفوا في ذلك الغير، فمنهم من قال: هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ومنهم من قال: هو عبد الله بن حرب الكندي، ومنهم من قال: هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ت129هـ)[185].

(182) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (30)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 27).

(183) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (31).

(184) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (31).

(185) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (31)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 27، 151)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (30).

المسألة الثالثة: أدلة أتباع ابن الحنفية أنه هو المهدي الموعود به في آخر الزمان.

تعلقت شيعة ابن الحنفية بأدلة زعموا أنها دالة على أن محمد ابن الحنفية هو المهدي الذي بشرت بخروجه الأحاديث عن النبي ﷺ، وأنه سيملأ الأرض عدلا وقسطاً، وينصر آل البيت، ويحارب من عداهم من أهل السنة، وألصقوا ذلك بابن الحنفية كذباً وزوراً، وفيما يلي ذكر بعض مزاعمهم الموهومة.

1- إطلاق لقب المهدي على ابن الحنفية في حياته: زعمت شيعة ابن الحنفية أن لقب المهدي كان يطلق عليه بين يديه، مما يعني موافقته على ذلك[186].

2- رواية ابن الحنفية لأحاديث المهدي في مجالسه: نسب لابن الحنفية رواية بعض الأحاديث في المهدي: ومن هو؟ ومتى يظهر؟ وما هي صفاته؟، ولعل ذلك هو الذي جعل شيعته يظنون أنه المهدي، وبسبب ذلك كثر الكذب عليه من شيعته ومن بقية فرق الشيعة بنسبة أقوال كثيرة مكذوبة عليه، فمن تلك الأخبار التي لا تثبت عنه[187]: روي عن محمد ابن الحنفية أنه قال: «تخرج راية من خراسان، ثم تخرج أخرى، ثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل من بني تميم، يوطئ للمهدي سلطانه،

(186) سبق عرض تلك النصوص في بداية المبحث الثالث.

(187) انظر: الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة، للبستوي (169-173، 366).

يكون بين خروجه وبين أن يسلم للمهدي سلطانه اثنان وسبعون شهراً»[188]، وروي عنه قوله: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء، قلانسهم سود، وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل يقال له: شعيب بن صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس، يوطئ للمهدي سلطانه، ويمد إليه ثلاثمائة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهرا»[189]، وروي عنه قوله: «يملك بنو العباس حتى ييأس الناس من الخير، ثم يتشعب أمرهم، فإن لم تجدوا إلا جحر عقرب فادخلوا فيه؛ فإنه يكون في الناس شر طويل، ثم يزول ملكهم، ويقوم المهدي»[190]، وروي عنه قوله: «يتشعب أمر بني العباس في سنة سبع وتسعين، أو تسع وتسعين، ويقوم المهدي سنة مائتين»[191]، وروي عنه قوله: «بين خروج الراية السوداء من خراسان وشعيب بن صالح، وخروج المهدي وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهرا»[192]، وروي عنه قوله: «إنه إذا كان فإنه من ولد عبد شمس»[193]، وروي عنه قوله: «إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض: ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه، ولم تكونا منذ خلق الله السموات والأرض»[194].

3- أن أباه علياً ﷺ أشار إلى إمامته عندما دفع إليه الراية في معركة الجمل[195] **ومعركة صفين**[196] وقال

(188) أخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن (5/ 1056)، وإسناده ضعيف جداً في إسناده عبد الكريم ابن أبي المخارق: ضعيف جداً، انظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (2/ 646) تهذيب التهذيب، لابن حجر (6/ 376).

(189) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (1/ 310)، وإسناده ضعيف جداً في إسناده ابن أبي المخارق، وقد سبق الكلام عليه.

(190) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (1/ 217)، وإسناده ضعيف، فيه أبو يوسف المقدسي لا أدري من هو، وأما المتن فقد أثبتت الأيام بطلانه فقد زال ملك بني العباس منذ زمن طويل، ولم يقم المهدي حتى الآن.

(191) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (2/ 688)، وهو كسابقه إسناده= =ضعيف، فيه أبو يوسف المقدسي لا أدري من هو، وأما المتن فقد أثبتت الأيام بطلانه، فقد استعجل واضعه في إخراج المهدي فكذبته الأيام، وحاشا ابن الحنفية أن يقول ذلك.

(192) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (1/ 278)، وإسناده ضعيف جداً في إسناده ابن أبي المخارق، وقد سبق الكلام عليه، وفيه أيضاً: الوليد بن مسلم وهو مدلس، وقد عنعن، انظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (4/ 347).

(193) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (1/ 372)، وإسناده ضعيف، فيه: أفلت بن صالح، والداني أبو بكر، ومولى هند، ولم أجد لهم ترجمة، والمتن مخالف لما ثبت من الأحاديث الصحيحة أن المهدي من ولد فاطمة ﷺ، وليس من ولد عبد شمس.

(194) أخرجه الدارقطني في سننه (2/ 419)، والخبر موضوع، في إسناده عمرو الجعفي، جاء في ميزان الاعتدال، للذهبي (3/ 268): قال الجوزجاني: زائغ كذاب، انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (8/ 84) ولسان الميزان، لابن حجر (4/ 366).

(195) انظر: تاريخ الطبري (3/ 44).

(196) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 95)، وانظر: تاريخ الطبري=

له: «يا بني، الزم رايتك؛ فإني متقدم في القوم»[197]، قالوا: وكل ذلك تمهيداً لأن يكون هو المهدي.

المطلب الثاني: الرد على دعوى شيعة محمد ابن الحنفية في أنه المهدي.

المسألة الأولى: عقيدة أهل السنة والجماعة في خروج المهدي.

أولاً: معنى المهدي لغة واصطلاحاً.

المهدي لغة: اسم مفعول من: هداه هدى وهديا وهداية، «والهدى: ضد الضلال، وهو: الرشاد، والدلالة»[198]، «والهدى: السيرة والهيئة والطريقة»[199]، «والمهدي: الذي قد هداه الله إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان»[200].

والمهدي اصطلاحاً: يراد به: الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويكون من أهل بيته ﷺ، ويخرج في زمنه عيسى عليه السلام، والدجال.

ثانياً: المهديون متعددون بالمعنى العام، والمهدي الذي وعد به النبي ﷺ واحد بالمعنى الخاص:

المهدي يراد به معنيان، **الأول: المعنى العام**: وهو كل إمام أظهر العدل، وعمل بالكتاب والسنة، فهو من الراشدين المهديين، ومنهم الخلفاء الأربعة، كما في حديث العرباض بن سارية، وفيه: (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)[201]، ومنهم عمر بن عبد العزيز، فقد كان إماماً راشداً مهدياً بإجماع أهل العلم، قال ابن كثير: «وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العدل، وأحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين»[202]، وكان السلف يطلقون عليه المهدي بهذا الاعتبار، قال وهب بن منبه (ت114هـ): «إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز»[203]، فالمهدي بهذا المعنى العام يجوز إطلاقه على كل إمام عمل بالكتاب والسنة، وبسط القسط والعدل، وأزال الجور والظلم، وعلى هذا المعنى يكون المهديون متعددين، لكنهم لا يدخلون في المعنى الثاني للمهدي، وهو المعنى الخاص، فهذا لا يكون إلا واحداً، وهو الذي يكون من ولد فاطمة، ويكون ظهوره في زمن خروج المسيح الدجال، وإنما

=(3/ 5)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 333).

(197) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 95).

(198) لسان العرب، لابن منظور (15/ 353).

(199) النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير (5/ 252).

(200) النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير (5/ 253)، ولسان العرب، لابن منظور (15/ 353).

(201) أخرجه أحمد (28/ 367)، وأبو داود (4/ 329)، والترمذي (5/ 44)، وابن ماجه (1/ 15)، وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 610).

(202) البداية والنهاية، لابن كثير (12/ 696).

(203) حلية الأولياء، لأبي نعيم (5/ 254)، وانظر قول سعيد بن المسيب في الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 327).

وصف بالمهدي؛ لأنه يعمل بالسنة، ويملأ الأرض قسطًا وعدلا، كما ملئت قبله جوراً وظلماً[204].

ثالثاً: عقيدة أهل السنة في خروج المهدي.

من عقائد أهل السنة: التصديق بكل ما صح عن رسول الله ﷺ من الأخبار، ومن ذلك إخباره بشأن المهدي، قال السفاريني (ت1188هـ) في عقيدته: «فالإيمان بخروج المهدي واجب، كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة»[205]، وإلى ذلك ذهب «جمهور أهل العلم -بل هو اتفاق منهم- على ثبوت أمر المهدي، وأنه حق»[206]، والمهدي الموعود به شخص واحد، من أهل بيت النبي ﷺ وعترته، وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني، من ولد الحسن بن علي، وهو أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يخرج في آخر الزمان، حتى لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعثه الله فيه، ويكون أصل خروجه من ناحية المشرق، ثم يأتي مكة، فيبايع له عند البيت الحرام، وهو من الخلفاء الذين يستقيم بهم الدين، وهو الذي يعمل بسنة النبي ﷺ، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً[207].

رابعاً: علامات المهدي عند أهل السنة.

لا يمكن الاتفاق على أوصاف المهدي وعلاماته بين العلماء؛ لأن تلك العلامات مرتبطة بصحة الأدلة في الثبوت والدلالة، ويجب التنبيه إلى أن المهدي الحق لا بد أن يجمع بين كل الصفات الثابتة عن النبي ﷺ، وإلا لم يكن المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، أما شخصية المهدي وملامحها وأوصافها التي تبينت لي من خلال الأحاديث المرفوعة الثابتة، فمن خلال التأمل يمكن تصنيفها على ثلاثة أصناف[208].

الصنف الأول: علامات المهدي التي تسبق مبايعة الناس له:

العلامة الأولى: اسمه يواطئ اسم النبي ﷺ: عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي)[209].

و**العلامة الثانية**: اسم أبيه يوافق اسم أبي النبي ﷺ: وفي رواية لأبي داود (ت257هـ) لحديث عبد الله بن مسعود السابق قال ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم

(204) وانظر كلام ابن القيم في المنار المنيف (150) في هذا المعنى فقد أجاد وكفى.

(205) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (2/ 84).

(206) مجموع فتاوى ابن باز (4/ 99).

(207) انظر: المنار المنيف، لابن القيم(151)، والبداية والنهاية، لابن كثير (19/ 62).

(208) ترتيب علامات المهدي أمر اجتهادي، وقد رتبت تلك العلامات بحسب ترتيبها الزمني في حياته، وسوف أكتفي بحديث واحد لكل علامة طلباً للاختصار.

(209) أخرجه أبو داود (4/ 173)، والترمذي (4/ 505)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1217).

لطول الله ذلك اليوم، حتى يبعث الله فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي- يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي...)[210].

والعلامة الثالثة: من أهل بيت النبي ﷺ: عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة)[211].

والعلامة الرابعة: من ولد فاطمة ﷺ عن أم سلمة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: (المهدي من عترتي، من ولد فاطمة)[212].

والعلامة الخامسة: من ولد الحسن بن علي ﷺ: قال علي ﷺ لما نظر إلى ابنه الحسن: «إن ابني هذا سيد، كما سماه النبي ﷺ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق، ولا يشبهه في الخَلق»، ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلا[213].

والعلامة السادسة: أجلى الجبهة، أقنى الأنف: عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي مني، أجلى الجبهة[214]، أقنى الأنف[215])[216].

والعلامة السابعة: تملأ الأرض قبل خلافته ظلماً وجوراً: وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ السابق قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين).

والعلامة الثامنة: يخرج في آخر الزمان: في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي...)[217]، والمهدي يجتمع بالمسيح الدجال، وعيسى ابن مريم، وإنما يكون ذلك في آخر الزمان.

---

(210) أخرجه أبو داود (4/ 173)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 938).

(211) أخرجه أحمد (2/ 74)،، وابن ماجه (2/ 1367)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (5/ 486).

(212) أخرجه أبو داود (4/ 174)، وابن ماجه (2/ 1368)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1140).

(213) أخرجه أبو داود (4/ 177)، ونعيم بن حماد في الفتن (1/ 374)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (13/ 1096)، ومع هذا التضعيف، فإن كثيراً من العلماء يعدون من علامات المهدي أنه من سلالة الحسن ﷺ، مما يعني تصحيحهم لهذا الأثر، وممن ذكر أنه من سلالة الحسن ﷺ:= =ابن تيمية في منهاج السنة (8/ 258)، وابن القيم في المنار المنيف (151)، وغيرهما.

(214) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (1/ 290): «وفي صفة المهدي انه أجلى الجبهة، الأجلي: الخفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغتين، والذي انحسر الشعر على جبهته».

(215) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (4/ 116): «القنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه».

(216) أخرجه داود (4/ 174)، والحاكم في المستدرك (4/ 600)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1140).

(217) أخرجه أبو داود (4/ 173)، والترمذي (4/ 505)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1217).

الصنف الثاني: علامات المهدي التي تكون قبيل بيعة الناس له أو أثناها.

العلامة التاسعة: يصلحه الله في ليلة[218]: وفي حديث علي ﷺ السابق، قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة).

والعلامة العاشرة: يأوي إلى مكة هارباً من المدينة، فيتبعه الناس حتى يبايعونه فيها: فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه، وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام...)[219].

والعلامة الحادية عشرة: يظهر المهدي، وليس للناس خليفة: ودل على ذلك حديث أم سلمة السابق عن النبي ﷺ قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة...).

والعلامة الثانية عشرة: زمن خروج المهدي زمن فتن واختلاف واقتتال بين المسلمين، ويدل عليه حديث أم سلمة السابق عن النبي ﷺ قال: (يكون **اختلاف** عند موت خليفة...)، وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يقتتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم)، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال: (فإذا رأيتموه، فبايعوه ولو حبوا على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدي)[220].

والعلامة الثالثة عشرة: يبايع مكرهاً، ولا يطلب البيعة لنفسه، ولا يقاتل الناس لتحصيلها: ففي حديث أم سلمة السابق عن النبي ﷺ قال: (... **فيخرجونه وهو كاره**، فيبايعونه).

والعلامة الرابعة عشرة: يبايع له بين الركن والمقام[221]: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يبايع لرجل ما بين الركن والمقام...)[222].

---

(218) معنى «يصلحه الله في ليلة»: يحتمل معنيين: أحدهما: أن يصلحه للإمارة بغتة، ويتم له الأمر ويظهره على من ناوئه في ليلة واحدة، والثاني: أن يكون متلبساً ببعض النقائص، فيصلحه الله ويتوب عليه، انظر: شرح سنن ابن ماجه للسيوطي (300).

(219) أخرجه: أحمد (44/ 286)، وأبو داود (4/ 175)، وقال ابن القيم في المنار المنيف (145): «والحديث حسن، ومثله مما يجوز أن يقال فيه: صحيح»، وضعف الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (4/ 435).

(220) أخرجه ابن ماجه (2/ 1367)، والحاكم في المستدرك (4/ 510)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال القرطبي في التذكرة (2/ 328): إسناده صحيح، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (1/ 195) وقال: فيه نكاره.

(221) بوب ابن حبان في صحيحه باب: ذكر الموضع الذي يبايع فيه المهدي، ثم أورد حديث أبي هريرة ﷺ الآتي، انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب علي بن بلبان (15/ 239).

(222) أخرجه أحمد (13/ 289)، وابن حبان في صحيحه انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب علي بن بلبان (15/ 239)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة=

والعلامة الخامسة عشرة: يخرج في راياتٍ سودٍ من قبل خراسان: ويدل عليه حديث ثوبان ﷺ السابق قال: قال رسول الله ﷺ: (يقتتل عنـد كنـزكم ثلاثـة، كلهـم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق...).

والعلامة السادسة عشرة: يخرج عند حـين اقتتـال أبناء ثلاثة من الخلفاء على كنز، فيخرج، فيقاتلهم: ويدل عليه حديث ثوبـان ﷺ الـسابق قـال: قـال رسـول الله ﷺ: (يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة...).

والعلامة السابعة عشرة: يبايع له في مكـة فيغـزوه جيش، فيخسف بـه[223]: ويـدل عليـه حـديث أم سـلمة السابق عن النبي ﷺ قال: (يكون اختلاف عنـد مـوت خليفة، فيخرج رجل مـن أهـل المدينـة هاربـا إلى مكـة، فيأتيه نـاس مـن أهـل مكـة، فيخرجونـه، وهـو كـاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة...).

الصنف الثالث: علامات المهدي التي تكون بعـد مبايعـة الناس له.

العلامة الثامنة عشرة: يملأ الأرض بعـد خلافتـه قسطاً وعدلاً: ويدل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري ﷺ السابق، قال: قال رسـول الله ﷺ: (يمـلأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً).

والعلامة التاسعة عـشرة: يحـصل في زمـن حكـم المهدي الرغد في العيش: ويدل عليها حـديث أبي سـعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج في أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً[224]، وتكثر الماشية، وتعظـم الأمـة، يعـيش سبعاً أو ثمانياً يعني حججاً)[225].

والعلامة العشرون: ينزل عيـسى بـن مـريم عليه السلام فيصلي ورائه: وهذا يقتضي أن الدجال يخـرج في عـصره؛ لأن عيسى ينزل، فيقتل الدجال، فعن جابر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (ينزل عيسى بن مريم، فيقـول أمـيرهم المهدي: تعـال صـل بنـا، فيقـول: لا، إن بعـضهم أمـير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة)[226].

والعلامة الحادية والعشرون: يملك سبع سنين أو

=(2/ 122).

(223) يرى ابن حبان في صحيحه انظر: الإحسان في تقريـب صـحيح ابن حبان ترتيب علي بن بلبان (15/ 158).وغـيره أن الجـيش الذي يخسف به هو الجيش الذي يخرج لمحاربة المهدي.

(224) ورد معنى كلمة (صحاحا) أي بالسوية. انظر مسند الإمام أحمد (17/ 426) فقد جاء مفسرا في الحديث.

(225) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 601)، وقال: «هـذا حـديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقـه الـذهبي في التلخـيص، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 328).

(226) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في (مسنده) كما في المنـار المنيـف، لابن القيم (148): وقال: وهذا إسناد جيـد، قـال الألبـاني في السلسلة الصحيحة (5/ 277): وهو كما قال ابن القيم.

ثمانيا: ويدل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري ﷺ السابق، قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج في أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني حججاً).

المسألة الثانية: ردود أهل السنة على شيعة ابن الحنفية في دعوى أن ابن الحنفية هو المهدي الموعود به في آخر الزمان:

ضلت شيعة ابن الحنفية في عقيدتها بأن ابن الحنفية هو المهدي الموعود به، وتبين ضلالها بمرور الزمن، وموت ابن الحنفية، وعدم رجعته، إلا أن هذه العقيدة جرت بقية فرق الغلو في الأشخاص إلى تقليدهم والوقوع فيما وقعوا فيه.

أولاً: أسباب انقراض القول بمهدية ابن الحنفية:

لقد كانت شيعة ابن الحنفية هم أكثر فرق الشيعة، بل لم تكن الشيعة إلا هم، والفرق الأخرى صغيرة لا تكاد تذكر، قال ابن خلدون: «وكان شيعة محمد بن الحنفية أكثر شيعة أهل البيت»[227]، وكان ذلك في زمن ابن الحنفية وفي زمن ولده أبي هاشم، ومما يدل على قوة التشيع لابن الحنفية أن الدولة العباسية التي قامت إنما كانت من شيعة ابن الحنفية[228]، فهي معدودة من جملة الفرق المنتسبة لابن الحنفية كما سبق بيانه، ومع هذه القوة لشيعة ابن الحنفية في القرن الأول والقرن الثاني إلا أن تلك الفرقة بدأت تضعف، وضعف القول بمهدية ابن الحنفية، وانصرفت الشيعة لغيره من آل البيت، وأصبح القول بمهديته مهجوراً، قال النوبختي: «فثبتوا على ذلك حتى فنوا وانقرضوا إلا قليلا من أبنائهم، وهم إحدى فرق الكيسانية»[229]، ويمكن تلمس بعض الأسباب التي أدت إلى انقراض القول بمهدية ابن الحنفية:

1- تحقق موته قبل تحقق مهديته، فانصرف كثير من أتباعه، ودخلوا في عموم أهل السنة.

2- يأس أتباع ابن المهدي من رجوعه من غيبته، وذلك أن أتباعه لم يقتنعوا بموته، فأخذوا ينتظرونه سنين متطاولة حتى إن الشاعر السيد الحميري ذكر في قصيدته أنهم ينتظرونه الآن (70) عاماً، فقال[230]:

وعادوا فيك أهل الأرض طراً ❋

مقامك عنهم سبعين عاماً

3- انصراف الشيعة الكيسانية المختارية من فرع ابن الحنفية إلى فرع الحسين في ولده علي بن الحسين (ت94هـ) ثم محمد الباقر، أو في فرع العباس بن عبدالمطلب في محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولم

(227) تاريخ ابن خلدون (3/ 217)

(228) انظر: المرجع السابق (3/ 217).

(229) فرق الشيعة، للنوبختي (29)

(230) المرجع السابق (30).

يبق ممن يتبع فرع ابن الحنفية إلا قليل، بدليل وجود أتباعه في الشاعر الحميري، وفي القرامطة عند خروجهم عام (278هـ)، لكن هذا القول لم يعد له أتباع بعد ذلك.

4- اجتهاد فرع أتباع القائلين بإمامة محمد الباقر أو العباسيين في تكذيب القول بإمامة ابن الحنفية ومهديته، فأوردوا النصوص التي تجعل الإمامة في غيره، وانصرافها منه، إما بذكر قصة ابن الحنفية مع علي بن الحسين، وشهادة الحجر الأسود لعلي بن الحسين[231]، أو شهادة ابن الحنفية لعلي بن الحسين بالإمامة[232]، أو في وصية أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي[233]، أو في غير ذلك.

(231) زعمت الإمامية أن ابن الحنفية اختلف مع محمد الباقر في أيهما الأمام، فذهبا للحجر الأسود، فنطق الحجر، وشهد بإمامة علي بن الحسين. انظر: أصول الكافي، للكليني (1/ 259).

(232) روى الكشي في رجاله (113)، عن أبي خالد الكابلي الذي كان يقوم بخدمة محمد ابن الحنفية، أنه قال له يوما: «جعلت فداك، إن لي حرمة ومودة وانقطاعا، فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين إلا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟ قال: فقال: يا أبا خالد، حلفتني بالعظيم، الإمام علي بن الحسين، عليَّ وعلى كل مسلم».

(233) نقل ابن سعد في طبقاته (7/ 471) أن أبا هاشم بن محمد ابن الحنفية أوصى إلى محمد بن علي العباسي ودفع إليه كتبه، فكان محمد بن علي وصي أبي هاشم، وقال له أبو هاشم: إن هذا الأمر إنما هو في ولدك، فكانت الشيعة الذين كانوا يأتون أبا هاشم ويختلفون إليه قد صاروا بعد ذلك إلى محمد بن علي. وانظر: فرق الشيعة، للنوبختي (48)، وتاريخ ابن خلدون (7/ 736).

ثانياً: أوجه بيان بطلان قول شيعة ابن الحنفية في أنه المهدي.

الوجه الأول: إبطال عقيدة شيعة ابن الحنفية في أنه الإمام المنصوص عليه من أبيه ﷺ أو من أخيه الحسين ﷺ:

اعتمدت شيعة ابن الحنفية في إثبات مهديته بأنه الإمام الموصى به من قبل أبيه علي ﷺ أو من قبل الحسين ﷺ، ومن كان إماماً فهو الذي يستحق أن يكون هو المهدي، فالمهدي لا يكون إلا حاكما إماماً، وهذه الدعوى منهم في أنه الوصي بالإمامة دعوة كاذبة، ويتبين بطلانها بما يلي:

أولاً: أن جميع فرق المسلمين- سُنة وشيعة، ما عدا شيعة ابن الحنفية- لا يرون صحة إمامة ابن الحنفية، فضلاً عن أن يكون منصوصاً عليه.

ثانياً: أن شيعة ابن الحنفية اختلفوا اختلافاً كبيراً في النص والإمامة عليه [234]، وفي كثرة اضطرابهم واختلافهم في تعيين الإمام والنص عليه، دليلٌ على كذبهم في هذه العقيدة، وأنها ليست عن الله- تعالى- ولا عن رسوله ﷺ، وإذا بطلت الإمامة عن ابن الحنفية بطل ما تفرع عنها من القول بأنه المهدي.

ثالثاً: أنهم لم يستدلوا بنصوص صحيحة صريحة على أنه الإمام بعد أبيه علي ﷺ، وإنما هي أوهام ظنوها

(234) سبق ذكر هذه المسألة بالتفصيل في المطلب الثاني: علاقة المهدية بالإمامة والغيبة عند شيعة ابن الحنفية.

أدلة على إمامته، كقولهم إن أباه أعطاه الراية يوم الجمل وصفين.

الوجه الثاني: إبطال عقيدة شيعة ابن الحنفية في أنه غاب، ولم يمت:

ما ذهب إليه هؤلاء باطل من مذهبهم؛ فإنهم قد اختلفوا في موته على قولين: القول الأول: أنه لم يمت ولا يموت، ولا يجوز ذلك، بل غاب وسيعود[235]، وافترقت فرقتين في تحديد مكان غيبته: الأولى قالت: غاب، ولا يدري أين هو؟ وسيرجع، ويملك الأرض، ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه، وهم الكربية[236]، والفرقة الثانية قالت: حي لم يمت، وأنه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة، وهم إحدى فرق الكيسانية[237].

القول الثاني: يقرون بإمامة ابن الحنفية في وقته، وبموته، وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره، ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه على أقوال كثيرة[238].

وهذا الاختلاف من شيعته في إثبات موته وفي عدمه دليل على عدم اتفاقهم على غيبته، وإذا حصل الاختلاف دل على فساد عقيدتهم وبطلان مهديته، ثم إن هذه العقيدة مخالفة صريحة للقرآن الكريم في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزُّمَر:30)، وقوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن:26- 27)، بل إن فرق الشيعة أكدت موت ابن الحنفية، فقد نقل عن أبي عبد الله جعفر الصادق، أنه رد على بعض أتباع ابن الحنفية الذين يقولون: إنه حي يرزق لم يمت، فقال: «حدثني أبي أنه كان فيمن عاده في مرضه، وفيمن غمضه، وأدخله حفرته، وزوج نسائه، وقسم ميراثه»[239]، فتبين مما سبق ثبوت موت ابن الحنفية قبل أن تخرج عليه علامات المهدي التي أخبر بها النبي ﷺ، وهذا من أقوى الأدلة على بطلان مهديته.

الوجه الثالث: معنى المهدي الذي أطلق على ابن الحنفية في حياته هو الهادي إلى الخير.

من ردود أهل السنة على شيعة ابن الحنفية: أن معنى المهدي المطلق على ابن الحنفية، والذي كان يقال بين يديه بمعنى: المهدي الذي يهدي إلى الخير، وهذا المعنى يصح له ولغيره، بخلاف المعنى الذي تقصده شيعة ابن الحنفية، فلا يكون المهدي على قولهم إلا

(235) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (29)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 27)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (13/ 94-95).

(236) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (27-29).

(237) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (27)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 27)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (30-31).

(238) انظر: فرق الشيعة، للنوبختي (29)، والملل والنحل، للشهرستاني (1/ 27)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (30-31).

(239) كمال الدين وتمام النعمة، للقمي (36).

واحداً، وقد وردت نصوص عن ابن الحنفية في إرادته لهذا المعنى، فعن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال: «قالوا لأبي: يا مهدي، السلام عليك، قال: سبحان الله، ألم أنهكم عن هذا؟ إنما المهدي من هدى الله ﷻ»[240]، «وكان يقول لمن يقول: إنه المهدي: أجل، أنا مهدي، أهدي إلى الخير، ولكن إذا سلم أحدكم علي فليقل: السلام عليك، يا محمد، ولا تقولوا: يا مهدي»[241]، وعن أبي جمرة قال: «كانوا يسلمون على محمد بن علي: سلام عليك، يا مهدي، فقال: أجل، أنا مهدي؛ أهدي إلى الرشد والخير، اسمي اسم نبي الله، وكنيتي كنية نبي الله، فإذا سلم أحدكم فليقل: سلام عليك، يا محمد، السلام عليك، يا أبا القاسم»[242]، وعن يزيد بن أبي زياد (ت136هـ) قال: «قالوا لمحمد ابن الحنفية: ابسط يدك حتى نبايعك[243] على أنك المهدي، قال: فبسط يده، وقال: كل مؤمن مهدي، وفي رواية: إن المهدي هو المؤمن»[244].

الوجه الرابع: مخالفة صفات ابن الحنفية لصفات المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ.

الكلام في هذا المبحث فرع عن الكلام في مبحث علامات المهدي، التي سبق تفصيل القول فيها، فالمهدي المبشر به عن النبي ﷺ له علامات بينة، وعند مقارنتها بصفات ابن الحنفية نجد أنه ليس هو المهدي المبشر به، وليس فيه من صفات المهدي إلا صفتان: أن اسمه محمد، وأنه من أهل البيت، وأما باقي صفات المهدي فلا تنطبق عليه، وفي ذلك بطلان قول شيعة ابن الحنفية إنه المهدي.

***

الخاتمة

في ختام هذا البحث أوجز أبرز نتائجه، ومنها:

1- حظيت سيرة محمد ابن الحنفية باهتمام كبير عند علماء السلف؛ لمكانته الكبيرة، وجلالة قدره عندهم.

2- موافقة ابن الحنفية لمعتقد السلف في أقواله وأفعاله، ومخالفته لعقائد الشيعة الذين يزعمون أنه من أئمتهم، فقد كان محذراً وكارهاً لهم في حياته.

3- ابتلي ابن الحنفية بكثرة الأتباع الذين اعتقدوا فيه عقائد باطلة ضالة، وقامت ثورة تزعمها المختار بن

(240) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (3/ 157).

(241) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي (2/ 545)

(242) الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 96)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (54/ 347).

(243) هذا النص في قبوله للبيعة، إن كان المقصد أنهم يبايعونه على إمامة المسلمين، فهذا يخالف منهجه الثابت عنه في مبايعته لمعاوية ويزيد ابن معاوية وعبد الملك بن مراون، وعدم خروجه عليهم أو مطالبته للبيعة، وهذا يدل على كذب هذه الرواية عليه، وأنها غير صحيحة خاصة، ولم أجدها إلا في مرجع واحد، وإن كان المقصد بالبيعة أنهم يشهدون له بالإيمان والهداية، وأنه قبل شهادتهم بذلك فقد يقبل هذا المعنى.

(244) إكمال تهذيب الكمال، لمغلطاي (10/ 284).

أبي عبيد تنادي بإمامته ومهديته، حتى شاع بين الناس أنه المهدي، ثم بعد موته غلت فيه فرق كثيرة، ووقعت في مقولات كفرية، انتقلت منها إلى فرق أخرى، وأصبحت من مسلمات عقائد الشيعة.

4- اهتم علماء السلف المتقدمين والمتأخرين ببيان شأن المهدي، وذكر صفاته، وثبوت أمره، وأنه خارج حقيقة في آخر الزمان، وذلك بتأليف الكتب، وتدوين الأحاديث الواردة، وبيان صحيحها من ضعيفها، والرد على الكاذبين في دعاويهم.

5- المهديون متعددون بمعنى المصلحين من الحكام، وهذا هو المعنى العام للمهدي، وأما بالمعنى الخاص الوارد في بشارة النبي ﷺ بالمهدي في آخر الزمان، فهو مهدي واحد، ويعتبر مجددًا من المجددين، الذين يحصل بظهورهم خير عظيم في الدين والدنيا، وله علامات توقيفية عن النبي ﷺ.

6- سبب اضطراب الناس وضلالهم في أمر المهدي هو في عدم العناية بالأحاديث الصحيحة الواردة في علامات المهدي، أو الاقتصار على بعضها، أو الأخذ بما لم يصح منها، أو سوء الفهم لها.

7- للمهدي علامات صحيحة محددة من وافقها جميعاً كان هو المهدي، ومن اقتصر على بعضها كان في ادعائه لها جاهلاً أو كاذباً.

ومن أهم التوصيات: دعوة الجامعات ودور النشر والإعلام إلى نشر السيرة الصحيحة لآل البيت الخالية من الغلو، والإسهام في تصحيح مقالات الفرق الإسلامية، وبيان العقيدة الصحيحة في المهدي الموعود به في الأحاديث الشريفة. هذا، والحمد لله على توفيقه وإعانته، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

فهرس المصادر والمراجع

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. الفارسي، علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1408هـ

أخبار مكة. الفاكهي، محمد بن إسحاق. تحقيق: عبد الملك دهيش، ط2، بيروت: دار خضر، 1414هـ

الأدب المفرد. البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط3، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1409هـ.

أصول الكافي. الكليني، محمد بن يعقوب. ط1، د.م: دار المرتضى، 1426هـ.

أصول مذهب الشيعة الإمامية. القفاري، ناصر بن عبد الله. ط1، د.م: دار الحرمين، 1414هـ.

إكمال تهذيب الكمال. الحنفي، مغلطاي بن قليج. تحقيق: عادل بن محمد، وأسامة بن إبراهيم، ط1، القاهرة: الفاروق، 1422هـ.

أنساب الأشراف. البلاذري، أحمد بن يحيى. تحقيق: الزركلي، ط1، بيروت: دار الفكر، 1417هـ.

البدء والتاريخ. المقدسي، المطهر بن طاهر. د.ط، بور سعيد: مكتبة

الثقافة الدينية، د.ت.

البداية والنهاية. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تحقيق: عبد الله التركي، ط1، د.م: دار هجر للطباعة، 1418هـ.

تاريخ ابن خلدون. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: خليل شحادة، ط2، بيروت: دار الفكر، 1408هـ.

تاريخ الإسلام. الذهبي، محمد بن أحمد، تحقيق: بشار عوّاد، ط1، د.م: دار الغرب الإسلامي،2003م.

تاريخ الطبري. الطبري، محمد بن جرير، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ.

تاريخ دمشق. ابن عساكر، علي بن الحسن. تحقيق: عمرو بن غرامة، د.ط، د.م: دار الفكر، 1415هـ.

التبصير في الدين. الأسفراييني، طاهر بن محمد. تحقيق: كمال الحوت، ط1، لبنان: عالم الكتب، 1403هـ.

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة. السخوي، محمد بن عبدالرحمن. ط1، بيروت: الكتب العلمية، 1414هـ.

الترغيب والترهيب. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي. تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ.

تفسير الطبري. الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: عبد الله التركي، ط1، د.م: دار هجر، 1422هـ.

تقريب التهذيب. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. تحقيق: محمد عوامة، ط1، سوريا: دار الرشيد، 1406هـ.

تهذيب الأسماء. النووي، يحيى بن شرف. تحقيق: شركة العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. ط1، حيدر آباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف النظامية، 1326هـ.

الثقات. ابن حبان البستي، محمد بن حبان. تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط1، الهند: دائرة المعارف العثمانية. 1393هـ.

حلية الأولياء. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله. د.ط، مصر: السعادة، 1394هـ.

ذم الكلام وأهله. الهروي، عبد الله بن محمد. تحقيق: عبد الرحمن الشبل، ط1، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1418هـ.

رجال الكشي. الطوسي، محمد بن الحسن. تحقيق: جواد الأصفهاني، ط1، د.م: النشر الإسلامية، 1427هـ.

الرد على الجهمية. الدارمي، عثمان بن سعيد. تحقيق: بدر البدر، ط2، الكويت: دار ابن الأثير، 1416هـ.

سلسلة الأحاديث الصحيحة. الألباني، محمد ناصر الدين. ط1، الرياض: مكتبة المعارف، 1415هـ.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. الألباني، محمد ناصر الدين. ط1، الرياض: دار المعارف، 1412هـ.

سنن ابن ماجه. ابن ماجه، محمد بن يزيد. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

سنن أبي داود. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

سنن الترمذي. الترمذي، محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

سنن الدارقطني. الدارقطني، علي بن عمر، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1424هـ

السنن الكبرى. البيهقي، أحمد بن الحسين. ط1، الهند: مجلس دائرة المعارف النظامية، 1344هـ.

سنن النسائي. النسائي، أحمد بن شعيب. تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط5، بيروت: دار المعرفة، 1420هـ.

السنن الواردة في الفتن. الداني، عثمان بن سعيد. تحقيق: د. رضاء الله المباركفوري، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1416هـ.

سير أعلام النبلاء. الذهبي، محمد بن أحمد. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. الالكائي، هبة الله بن الحسن. تحقيق: أحمد سعد حمدان، الرياض: دار طيبة، 1402هـ.

شرح سنن ابن ماجه، مجموع من ثلاثة شروح. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد. د.ط، كراتشي: قديمي كتب خانة، د.ت.

شرح مسلم. النووي، يحيى بن شرف، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ.

شعب الإيمان. البيهقي، أحمد بن الحسين. تحقيق: د. عبد العلي عبدالحميد، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1423هـ.

الشيعة والتشيع. ظهير، إحسان إلهي، ط10، باكستان: إدارة ترجمان السنة، 1415هـ.

صحيح البخاري. البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد زهير، ط1، د.م: دار طوق النجاة، 1422هـ.

صحيح الجامع الصغير وزياداته. الألباني، محمد ناصر الدين. ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1406هـ.

صحيح مسلم. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربية، د.ت.

ضعيف الترغيب والترهيب. الألباني، محمد ناصر الدين. ط1، الرياض: مكتبة المعارف، 1421هـ

ضعيف الجامع الصغير وزياداته. الألباني، محمد ناصر الدين. تحقيق: زهير الشاويش، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1399هـ.

طبقات ابن سعد. الزهري، محمد بن سعد، تحقيق: علي محمد، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2001م.

طبقات الفقهاء. الشيرازي، إبراهيم بن علي، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الرائد العربي، 1970م.

فتح الباري. ابن حجر، أحمد بن علي. د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1376هـ.

الفتن. المروزي، نعيم بن حماد. تحقيق: سمير أمين، ط1، القاهرة: مكتبة التوحيد، 1412هـ

فرق الشيعة. النوبختي، الحسن بن موسى. د.ط، بيروت: دار الأضواء. 1404هـ.

الفرق بين الفرق. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. تحقيق: إبراهيم رمضان، ط1، بيروت: دار المعرفة، 1415هـ.

الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم، علي بن أحمد. د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.

فضائل الصحابة. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. تحقيق: وصي الله محمد عباس، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1403هـ.

فوات الوفيات. صلاح الدين، محمد بن شاكر. تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار صادر، 1973م.

القاموس المحيط. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ.

كمال الدين وتمام النعمة. القمي، محمد بن علي. تحقيق: علي أكبر الغفاري، د.ط، د.م: النشر الإسلامي، 1405هـ.

لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم. ط1، بيروت: دار صادر، 1410هـ.

لسان الميزان. ابن حجر، أحمد بن علي. تحقيق: دائرة المعرف النظامية، ط2، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1390هـ.

لوامع الأنوار البهية. السفاريني، محمد بن أحمد، ط2، دمشق: مؤسسة الخافقين، 1402هـ.

المجالسة وجواهر العلم. الدينوري، أحمد بن مروان. تحقيق: مشهور بن حسن، د.ط، بيروت: دار ابن حزم، 1419هـ.

مجموع الفتاوى. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة:مجمع الملك فهد، 1416هـ.

مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله. جمعه: محمد الشويعر، ط1، الرياض: مجلة البحوث الإسلامية، 1421هـ.

المسالك والممالك. ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله. د.ط، بيروت: دار صادر أفست ليدن، 1889م.

المستدرك. الحاكم، محمد بن عبد الله. تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ.

مسند الإمام أحمد. الشيباني، أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ.

مسند الحميدي. الحميدي، عبد الله بن الزبير. تحقيق: حسن الداراني، ط1، دمشق: دار السقا، 1996م.

مُصنف ابن أبي شيبة. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد. تحقيق:محمد عوامة، ط1، د.م: دار القبلة، 1427هـ.

المعجم الأوسط. الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، د.ط، القاهرة: دار الحرمين، د.ت.

المعجم الكبير. الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت.

معرفة الثقات. أبو الحسن العجلي، تحقيق: عبد العليم البستوي، ط1، د.م: مكتبة الدار، 1405هـ.

مقالات الإسلاميين. الأشعري، علي بن إسماعيل. تحقيق: هلموت ريتر، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الملل والنحل. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، د.ط، د.م: مؤسسة الحلبي، د.ت.

المنار المنيف. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. تحقيق: أبو غدة، ط1، حلب: المطبوعات الإسلامية، 1390هـ.

منهاج السنة النبوية. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: محمد رشاد سالم، ط1، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ.

الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة. البستوي، عبد العليم عبد العظيم. ط1، د.م: المكتبة المكية، دار ابن حزم، 1420هـ.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال. الذهبي، محمد بن أحمد. تحقيق: علي البجاوي، ط1، بيروت: دار المعرفة، 1382هـ.

النهاية في غريب الحديث. ابن الأثير، المبارك بن محمد. تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، د.ط، بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ.

* * *